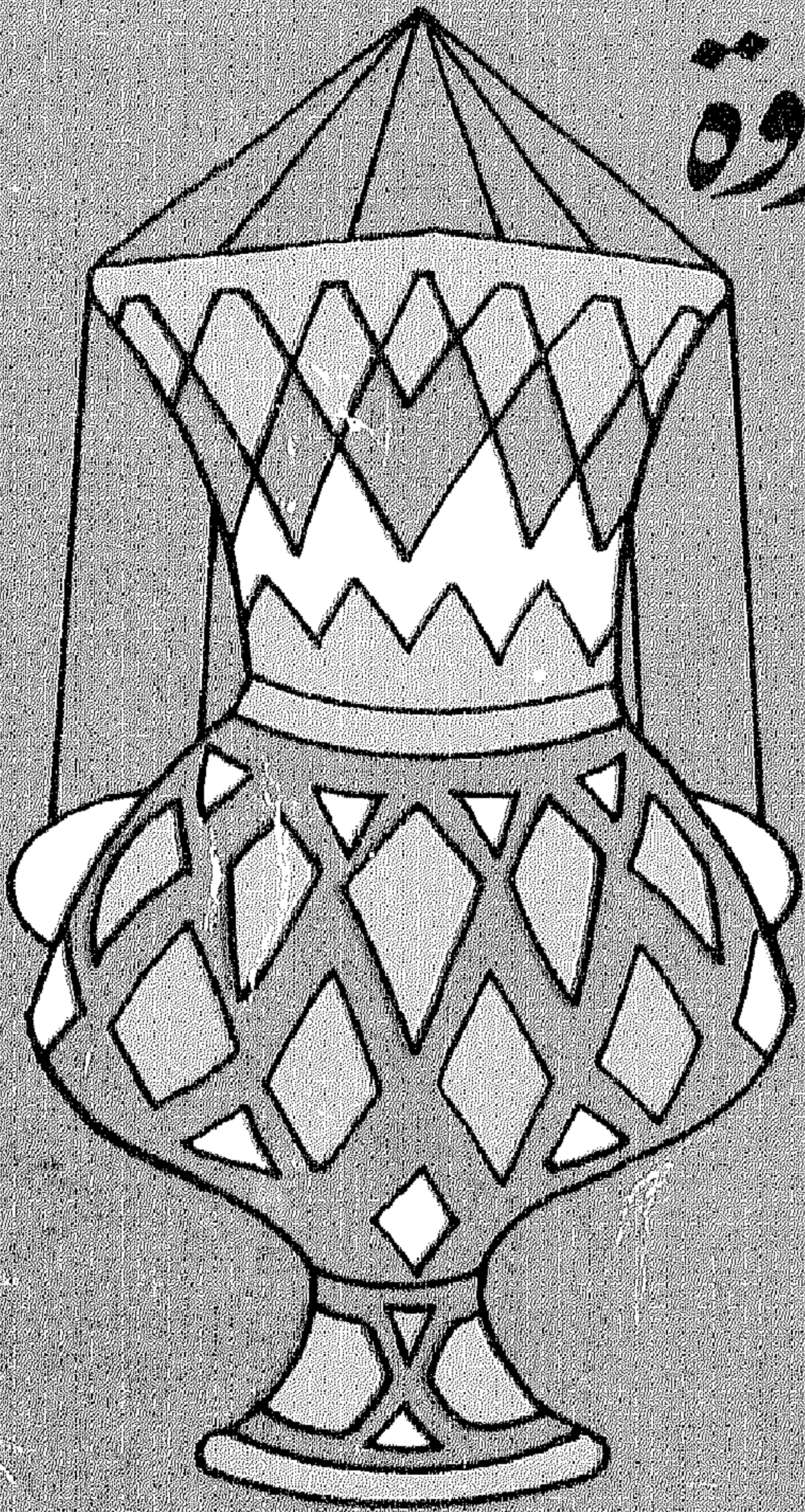


الذكر النبوي الشريف

تفصيا إسلامية

الذين يُذكرون القُدوة



الدكتور
محمد الشرقاوي

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر
ت ٣٩٤٧٢ الإسكندرية

قضايا إسلامية

الذين يُنكرون القُدرة

دكتور حسن الشرقاوى

١٩٨٤

المتاشر
مؤسسة كليات الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
٣٩٤٧٢ بالاسكندرية

المقدمة • •

انه من غير المشكوك فيه أن كثيرا من المفكرين والكتاب المسلمين يتوجسون خيفة من الاقدام على حل المشكلات والقضايا المعاصرة حلا اسلاميا ، وذلك بحسب النص القرآنى والسنة المحمدية واجماع علماء الأمة •

وربما يرجع السبب فى تقاعس عرض الحلول الاسلامية فى القضايا والمشكلات المعاصرة التى تهم جموع المسلمين ، • • ربما يرجع السبب الى الخوف من اتهام المفكرين والعلماء المسلمين بالجمود أو الرجعية أو عدم استخدام الاسلوب العلمى فى حل القضايا المعاصرة •

ولقد أصيب الفكر الاسلامى فى الفترة ما بين الخمسينيات الى السبعينيات من هذا القرن ، بنوع من الجمود والتقوقع نتيجة لتوغل الفكر المادى الجدلى الذى أدى الى تنظيم عملية الفصل بين السياسة والدين بصفة عامة والعلم والدين بصفة خاصة •

ان علينا أن نواجه المفاهيم الغربية والنظم الحياتية الأوروبية لنبيين للناس ، أن هناك خلافا أساسيا بين النظامين الرأسمالى والشيوعى ومايتفرع عنها من أنظمة مختلفة نقول هناك خلافا أساسيا وجوهريا بين هذه الأنظمة ومايتفرع عنها وبين النظام الاسلامى أو بمعنى أكثر تحديدا ووضوحا هناك خلافا جوهريا فى العلوم الحياتية مثل الأخلاق والتربية والاقتصاد والتشريع وعلم النفس من حيث منهج هذه العلوم عند الغربيين ومنهجها عند العلماء المسلمين المحدثين أو المنهج الاسلامى •

فالاقتصاد الاسلامى يخالف فى نظريته الاساسية يخالف
نظرتى الرأسمالى والشيوعى ومايتفرع عنهما من أنظمة مختلفة،
كما أن فلسفة الأخلاق الاسلامية تختلف فى أسسها وغايتها
ووسائلها ونظرتها الى الحياة والمجتمع عن فلسفات الأخلاق فى
الأنظمة والفلسفات البشرية وان كان هناك نوع من الاتفاق فى
الفروع أو الجزئيات الا أن الأصول والجواهر جد متباينة *

والأمر كذلك بالنسبة لعلم النفس فهناك اختلاف جوهري
بين نظرة علماء النفس الحديث بعامة، ومدرسة الشخصية بخاصة،
وبين علم النفس الاسلامى الذى يبدأ بدراسة النفس من منطلق
قرآنى يحمل معنيين وهما التقوى والفجور لقول عز
من قائل : -

« ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها »

كما يختلف التشريع الاسلامى عن القوانين الوضعية ،
والتقنيات البشرية اذا يمتاز بالثبات الدائم فى قواعده ، مع
وجود مرونة وقدرة لتشمل فروع العلم جميعا ***

وهكذا نجد خلافا واضحا بين المفاهيم والقيم الكبرى
وفى السلوك والعلوم الحياتية، بين النظرة الاسلامية، ونظرة العلماء
الغربيين المحدثين * ولا يمكن بالقول أنه يمكن مزج المنهجين
المنهج الاسلامى والمنهج الغربى الحديث واذا حدث ذلك تسبب
عنه مشاكل وقضايا متعددة ومتناقضات بين حضارة الغرب
المادية وبين مفاهيم الاسلام التى تجمع بين مطالب الروح والبدن
جميعا فى توافق وانسجام *

ان ما أصاب بعض المسلمين المثقفين ثقافة غربية من

فصام نفسى انما هو نتيجة لمحاولات اذابة العقيدة الدينية فى قلب المسلم واحلال أنواع من الفكر الالحادى أو العلمانى أو الشيوعى كبدائل للايمان بالله .

ويصر هؤلاء الذين حصلوا بعض علوم الغرب ان يعيشوا بعقولهم فيما حصلوه ، أما قلوبهم فتظل محتفظة بشكل أو بآخر بالممارسات الدينية ...

وهذا الكتاب يعرض بعض القضايا المعاصرة التى شغلتنى ، وما تزال تشغلنى ولقد تخلصت تمسما من التحيز للفكر الغربى وانتهيت بكليتى الى الله ، ملتزما جانب الاستقامة فى العرض والتحليل متوخيا الأمانة فى عرض وجه النظر الاسلامية فى مايمس كل القضايا التى تعرضت لها فى هذا الكتاب .

وسيجد القارئ العزيز أن وجهة النظر الاسلامية المعروضة بين ثنايا هذا الكتاب لا تكلف فيها ولاعنت ولاعسف... وانما سيجدها نابعة من المعين الذى لاينضب وهو كتاب الله وسنة رسوله وهى تعبر تعبيرا حقيقيا وصادقا عن المواقبة للفظر السليمة التى فطر الله الناس عليها . والله ولى التوفيق

• حسن الشرقاوى

(★) الذين ينكرون القدوة !

فى ندوة بكلية الآداب بالاسكندرية تحدث د . يوسف ادريس
« عن الوجود المصرى » وافاض فى تحليل مشاكل الشباب ، لكنه
اخطأ فى تشخيص الداء ووصف الدواء .

ومما لاشك فيه أن مشاكل شبابنا المثقف المعيشية لم تصبح
ظاهرة اجتماعية فحسب ، بل تفاقمت لتصبح مشكلة اجتماعية
لا يخلو أى بيت مصرى منها ، بحيث لا يمكن تمييزها أو السكوت
عليها ، والا فان رد الفعل سيكون عنيفا قويا . . .

لقد تعرض د . يوسف ادريس الى مشكلة السكن وانخفاض
الأجور وعدم وضوح الرؤية للأهداف المستقبلية . .
لكنه لم يتطرق فى محاضراته الى الانموذج الذى يتوجب
على الشباب الاقتداء به ليجتاز أزمته ، الا انه تصور أن الشباب
يستطيع وحده أن يقوم بالمستحيل . بدون قدوة . وان اختلفت
قيمه ومفاهيمه وافكاره الاجتماعية وعقائده الدينية .

وعندما وجه الى سيادته تساؤل عن اغفاله التركيز على
القدوة باعتبارها الركيزة الاساسية لتنشئة الشباب . أجاب
سيادته بأن القدوة هى أكثر المصطلحات خداعا وانها مسألة
رجعية مضللة مثلها مثل قانون العيب الذى صدر منذ سنوات . .
لقد ادعى سيادته أن السياسة لاقدوة فيها ، وقسم
حكومات العالم الى ثلاثة أقسام ، قسم يحكمه الاشتراكيون وقسم
ثالث خاضع للأنظمة الدينية ، الا انه اضاف قسما رابعا
اسماهم « الثوريون » أو « الانقلابيون » .

لقد تصور سيادته أن السياسة لا علاقة لها بالقدوة من
قريب أو من بعيد ، انما القدوة مسألة اخلاقية فحسب . . .

الا ان سيادته رجع مرة أخرى وانكر القدوة عندما أعلن في جراءة : أن الذين ينادون بالقدوة مضللون ورجعيون ومتجمدون *

لقد احزن كل المستمعين اساتذة وطلابا ، ان يصدر هذا الحديث عن خاتب معروف امام حشد يبلغ احتر من الهى شباب جاءوا يلتهمسون القدوة الحسنة ..

لقد أجهد اساتذة الجامعات انفسهم لتلقين تلامذتهم اهمية القدوة الحسنة فى السلوك العلمى والعملى والحياتى - لكن جاء د° يوسف ادريس ليبطل الفكر الشبابى وكأنه يدعو الشباب الى التمرد والعصيان ضد السلطة الابوية وضد المربى والمعلم واعطى أمثلة سيئة لذلك .

ان انكار القدوة انكار للابوة والامومة أولا ، ثم تمزيق للأسرة ثانيا ودعوى للتحلل من الاخلاق والقيم والآداب الرفيعة

ان انكار القدوة انكار لرسالة المعلم والمربى ، والأخطر من ذلك أنها دعوى لانكار رسالة الانبياء والمرسلين والمصلحين ، ثم انها انكار للرسالة الخاتمة التى ابلفها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القدوة الحسنة الذى يتمثل بها كل مسلم ، وقد امرنا الله تعالى بالاقتراء به :

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر (الاحزاب ٢١)

فالاقتراء بالرسول صلى الله عليه وسلم واجب على كل مسلم ومن انكر ذلك فقد خرج عن الدين :

« وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »

فكيف يأتى الزمان ، ويزعم احد الكتاب المسلمين على المنزلة
أن القدوة خرافة ودعوى مضللة ، وينسى أن قلب المؤمن وعقله
ولسانه يتمثل فى قدوة لم يأت الزمان ولن يأتى بمثلها . . .
انها شخصية محمد صلى الله عليه وسلم .
اذ يقول :

« خذوا عني مناسككم »

« صلوا كما رأيتمونى أصلى »

« ليبلغ الشاهد الشاهد »

لقد اقتدى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم باخلاقه
وافعاله واعماله وسلوكه ، فأصبحوا بفضل الله مدارس اخلاقية
 واجتماعية ودينية ، وكما أخذ عنهم التابعين أخذ عن التابعين
تابع التابعين ، وسيظل الاقتداء بهم الى يوم الدين . . .
ان الاسس التى يتوجب على المسلم الاقتداء بها واضحة
جلية ، لا لبس فيها ولا غموض ، لكن الابتعاد عن القدوة الصالحة
بدعوى الافتقار اليها وافتقارها قول مرفوض ودعوى كاذبة . .
فالقدوة الحسنة التى يمكن أن يتمثل بها الطفل موجودة
فى الاسرة والمدرسة والجامعة وفى الحياة العامة ، لكن مرضى
القلوب لا يرون الا القدوة السيئة فقط فان المريض « بالمرارة »
يرى طعم العسل مرا .

ان نجاح عملية التنشئة الاجتماعية والإخلاقية وعدم
نجاحها يرتكز على القدوة، فاذا كانت حسنة ، تكاملت الشخصية
اخلاقيا وسلوكيا واجتماعيا ، واذا كانت القدوة سيئة نتج عن
ذلك الانحراف والفساد والانحلال الخلقي . . .

فمن الناحية العلمية تقوم وسائل التنشئة على محاكاة القدوة ، مثل ذلك كالذى يريد ان يتعلم الخط الجميل فان عليه ان يحاكي صاحب الخط الجميل فاذا قلد صاحب الخط الردىء اكتسب خطا رديئا ، وكذلك الامر بالنسبة للخلق الجميل فانه يحتاج لاكتسابه الى اختيار صاحب مكارم الاخلاق . . .

غير انه يحتاج المرء للتكلف - اول الامر - لاكتساب الاخلاق الحسنة ، والتكلف عملية مكابدة ومجاهدة ومعاناة ، فاذا لم نشابر ونصبر فاننا لن نكتسب الاخلاق الحسنة ، كما لانكتسب الخط الجميل . .

ان تربية النشء لاكتساب المفاهيم والقيم الكبرى لن تتحقق الا بالتكلف ، لأن النفس الانسانية ترغب فى التكاسل والراحة والخمول ، فان لم تتعود على المثابرة وبذل الجهد لمحاكاة القدوة الحسنة . . . حدث الانحراف والتحلل الاخلاقى *

واذا ما اختيرت القدوة الحسنة وأصبحت الانموذج الذى يحتذى المرء به ، وتطبع المقتدى باخلاقها وسلوكها ومثلها العليا ، حتى يصل الى أن يكون ذلك طبعا راسخا فى الانسان ، فلا ينحرف عن هذا الطبع أبدا الا أن يكون اضطرارا أو اجبارا . . .

ان حل مشاكل الشباب الحياتية يكمن فى القدوة الحسنة ، وافتقاد القدوة ليس دليلا على عدم وجودها *
وأخيرا أرجو أن يصحح د* يوسف ادريس نفسه ويرجع الى الحق فالحق احق أن يتبع *

القدوة

أردت أم لم ترد !!

طلع علينا أحد الكتاب المعروفين اثناء ندوة
عقدت بكلية الآداب بالاسكندرية بدعوى جديدة
تتمثل فى انكار القدوة ، ولما سأله احد الأساتذة
عن سبب انكاره للقدوة ، اجاب د^ر يوسف ادريس
ان القدوة اصطلاح رجعى مضلل !!

ولقد نسى سيادته أن والديه قد ربياه صغيرا ، وانه شاء
أو لم يشأ قد تطبع بهما فى دور من ادوار حياته ، كما تطبع
ببعض معلمه ومربيه فى المدرسه أو الجامعة أو الحياة العامة . .
لكن الدكتور يوسف ادريس قد اخطأ خطأ بالغا عندما انكر
القدوة ، ذلك انه يمكن أن تكون القدوة حسنة ، فالذى يقتدى
بأصحاب مكارم الاخلاق يتطبع بطبعهم ومن ثم يسهل عليه أن
يصبح خلقه حسنا ، وعلى النقيض فان من اقتدى بقدوة سيئة
تطبع بها ولزم عنها ، ظهور طبعه الردىء وخلقته القبيح . . .
واذا انكر الانسان القدوة فقد انكر القيم والمثل والمبادئ
والرسالات السماوية وحقيقة الدين ، ولا يمكن الا أن يكون
متهما فى موازينه العقلية وفكره الحياتى وسلوكه الاخلاقى . . .
ان الماركسيين لا يحفلون بالقيم الكبرى والمبادئ الرفيعة
ويعتبرون الدين أفيون الشعوب ، ويشككون فى كل مفهوم عظيم
ويضربون بعرض الحائط ، بالمثل العليا التى يجب أن يقتدى بها
الانسان . . .

وهم يهدفون من وراء ذلك بليلة فكر الانسان المؤمن والتشكيك في عقيدته ، وعدم الاقرار بوحدانية الله وبرسله وانبيائه .

لكن يخشى الماركسى من رد الفعل عندما يتحدث الى شباب مؤمن بالله ربا وبالرسول محمد نبيا ومرشدا ، فيستخدم عبارات منمقة وتعبيرات زائفة واسلوب يشير النعرات ويوافق الشهوات قاصدا من ذلك الدخول من باب خفى الى عقول الشباب ليهز ايمانهم بكل مقدس وجميل وجليل . . .

وربما يكون هذا الأسلوب في أول مثيرا ، خاصة اذا كان المتحدث يمسك بيده جهازا من أجهزة الاعلام ، ولا يعطى لغيره فرصة مناقشته في دعاويه والرد على أراجيفه . . .

فاذا نجح في نقل افكاره الخاطئة ومزاعمه الباطلة ، ولم يعط فرصة لاحد لرده ودحض كلامه ، اعتقد ان الشباب قد استجاب لدعاويه ، وأن الجمع قد اسلم له القياد . فيما زعمه من اراجيف . . .

ان القدوة الحسنة حقيقة لا ريب فيها ، وأن من لا قدوة له فالشيطان قدوته ، وأن اعظم قدوة يجب أن يتمثل بها الشاب والكهل والشيخ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)

« الاحزاب : ٢١ »

فالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبصحابته وبالتابعين

وتابع التابعين الذين أخذوا عن الرسول وتخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بأدبه ، واجب على كل مسلم ومن خرج عن ذلك فقد خرج عن الدين :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

(ومن يطع الرسول فقد اطاع الله)

ولا يمكن لمسلم أن يعتد بغياب القدوة أو بافتقارها أو الافتقار إليها فكتاب الله يحمل في طياته وفي كل آية من آياته ما يعين المسلم في فكره وسلوكه وحياته ، وإن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التفاصيل الجزئية والتساؤلات اليومية التي يمكن أن تطرأ على الذهن بخصوص الأحكام والمعاملات والعبادات والعقود ، وللاستزادة فإن علماء المسلمين بذلوا جل جهدهم وامضوا كل حياتهم في تطبيق الأصول على الفروع والعام على الخاص ، واستخدموا القياس والاستحسان والمصالح المرسلة فيما لأنص ولا حديث ولا إجماع فيه . وبذلك بطلت دعاوى الطاعنين فيما يتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية في مجتمعنا الحديث والمعاصر ...

إن هذه الدعوى التي أطلقها بوعى أو بلا وعى د^ـ يوسف ادريس دعوى خطيرة في أهدافها وغاياتها ، وأن الضلال والاضلال الذى تحمله بين ثناياها قمين بأن تهب له القلوب المؤمنة انكاراً ودفاعاً عن الحق ، فالحق أحق أن يتبع .

(١) لا افراط و تفريط

فى شريعة الله

ليس للانسان أفضل من عقيدة الاسلام عقيدة يتمسك بها ويدافع عنها ، مهما لاقى فى سبيل ذلك من عنت وجور وظلم عظيم .

ان الأفكار الخاطئة التى تلوك بها السنة مرضى القلوب ، انما يقصدون بها التخطيط والتخييل والقاء سحابات من الشك والريبة فى القلوب ، ويستخدم هؤلاء تعبيرات مبهمه ، والفاظ غامضة تثير النعرات وتضلل القارئ والسامع عن قصد السبيل ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

ان أخوف ما أخافه على أمتى الرياء (٢) (الشرك الخفى .
هناك الشرك الاكبر وهناك الشرك الاصغر الخفى وهو الرياء ، وصاحبه يستظهر الايمان ويخفى الكفر ، ويعلمن الاسلام ويلبس مسوح التقوى لكنه فى حقيقته خادع مخدوع ، فما يلبث أن يظهر الله كذبه ويكشف عن سريرة نفسه ، ويرجع خاسئاً محصوراً . . .

ومهما ادعى المرائى انه يستهدف الحق ، ويدعو الى الله ، فانه مهما طال به الامد سيفضحه الله وينخله وينكس رأيته .

(١) نشرت هذه المقالة فى مجلة رابطة العالم الاسلامى عدد مايو ١٩٨٣ .

(★) نشرت بجريدة الاهرام فى ١٩٨٣/٢/٢٦ .

(٢) روى ابن عدى فى الكامل عن عمر رضى الله عنه « أخوف

ما أخافه على أمتى كل منافق عليم اللسان » .

أما المؤمن فلا يرائى ولا يخادع الناس ، اذ هو رشيد العقل ، سليم القلب ، لا ينحرف عن الصراط المستقيم ، لا يسرف ولا يقتتر ، ولا يغلو ولا يضعف ، وان اخطأ فبغير تعمد الا تكون هفوة غير مقصودة أو اضطرار لا حول له فيه ولا قوة :

« ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم »

ان الاعتدال والاستقامة والقوامة والقسط والعدل أساس للدين ، والاسراف والعفو والافراط من ناحية ، والتقشير والنقص والتفريط من ناحية أخرى ، ليس من طبع العلماء ، ولا فى خلق الفضلاء ، ولا فى سلوك المؤمنين ، ولا فى فكر المفكرين ، انما الدين يتمسكون بشريعة الله ، ويحتذون بالرسول صلى الله عليه وسلم ، تمسكوا بآيات الله البينات التى حددت لهم معالم طريق العلم والسلوك :

« وجعلناكم أمة وسطا »

« قال أوسطهم » (أفضلهم رأيا واتمهم حكمة)

فالطريق الى الله واضح سليم ، لا عوج فيه ولا غموض ، والانسان الحكيم هو الذى يستقيم فى أمره ، ويطيع ربه ، ويقتصد فى سيره ، فلا ينحرف عن الغاية التى رسمها الله تعالى له ، ولا يدعى لنفسه رأيا من دون الله ، ولا يزعم لنفسه حولا ولا قوة ، ولا يستخدم وسائل الترهيب ليكيد لعباد الله ، ولا يركب موجة العنف والعدوان ، ولا يجبن او يقصر او يفرط فى أمر دينه مداهنة ورياء ونفاقا ، ليصل الى مركز الصدارة غشا وخداعا وافتراء ...

ان مقتضى الحكمة أن يكون المفكر والعالم والاديب عدلا صادقا ، لا يداهن من اجل منفعة شخصية أو مصلحة ذاتية ، انما الحكيم من يقول بلسانه ما يؤمن به قلبه وليس من هؤلاء الذين :
« يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم »

ان من واجبات الذى يتصدر المؤسسات الثقافية ، والندوات العلمية أن يقول قولا رشيدا متوازنا ، فلا ينطق عن الهوى ولا يطلق سحابات الشك والريبة فى نفوس السامعين والقارئین والمشاهدين ، حتى ينفع الناس ولا يبطل بالفث والساقط من القول اللامعقول من القول المعقول .

ان مقتضى الحكمة أن يكون الانسان خيرا وناफعا للآخرين :
« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »
فالحكمة وسط عدل وخير فاضل ، وصاحب الحكمة عالم صادق ، وكما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« عالم ينتفع بعلمه خير من الدنيا وما عليها من ذهب وفضة »
والعالم النافع بعلمه لا يدعى لنفسه ما ليس لها ، فيزعم كما زعم قارون أن ما تحصل عليه (قارون) من مال لعلم عنده ، انما العالم على الحقيقة المتواضع لله والذى يوقن أن علمه انما بتوفيق من الله تعالى وهدايتة ورحمته .

ولقد بين الله تعالى لنا ، أن العالم الحق والحكيم العدل ، يشهد قولا وفعلا ظاهرا وباطنا ، بضعفه وقلة حيلته ويؤمن ايماننا راسخا بحقيقة لا اله الا الله وانه عبد عاجز وان الله القوى القادر :

« شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط »

ولكى يكون الانسان عدلا حكيما عالما ، فان عليه أن يتمسك
بكتاب الله ويقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم فى فكره
وخلقه وحياته ومن تمسك بسنة الله فلن يضل أبدا . . .

ومن يزعم انه صاحب رأى فى أصل من أصول الدين ،
فقد تحلل عن العروة الوثقى ، وتبع هواه ، وقاده جنوح عقله
الى اختراع ناموس من عنده لم يأت به الله . . .

فالمشرك والملحد والكافر لا يقول ليس هناك اله يعبد ،
لكنه اما أن يشرك بالله الهة أخرى ، أو انه يعبد الله بطريقته
الخاصة ، وقد قاده عقله القاصر الى آراء ومفتريات وأكاذيب
ما انزل الله بها من سلطان . . .

ان الادعاء بأن المفكر أو الاديب يمكن أن يكون له رأى
يخالف النص الصريح والسنة الشريفة واجماع الامة ، قول
مرفوض وزعم باطل اذ هى أمانى المتهوسين وأباطيل المفورين
واصفات المخمورين .

وكما انه يجب محاسبة الفلاة والمسرفين لجنوحهم عن الحق
والرشاد فى أمر الدين ، فكذلك يجب محاسبة المبطلين الذين
يشككون فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره
القدوة الصالحة فى كل زمان ومكان ، وليس المسرف باعظم جرما
من المبطل فانهما فى الباطل سواء . . .

ان التشريع الاسلامى صالح للتطبيق فى كل عصر وحين ،
وانه قادر أن يمتد باحكامه ونظامه ومعاملاته ليشتمل الناس
جميعا ، ومن ادعى غير ذلك فقد خرج عن حقيقة الدين .

ان النظام الاسلامى له اصول يجب الاقرار بها والعمل بموجبها فى الفكر والسلوك والتطبيق ، ومن يدعى غير ذلك فقد اتبع هواه ، وجنح الى الأباطيل والاساطير واضغات الاحلام .

انه ليس من الحرية الشخصية أن يعاند المسلم النص الصريح ولا السنة المباركة ولا اجماع الامة ، وان أى معاند ينادى بهذا الخروج السافر عن شريعة الله وهدى رسوله الأمين ، يجب أن تفزع له الامة ، وأن تظهر سخفه وبعده فى الحق والرشاد .

وما البهائية والقاديانية واهل القرآن وهى دعاوى مضللة حديثة ومعاصرة ، الا اراء جانحه تؤمن ببعض اصول السدين وتنكر بعضها ، وتنسخ آيات من القرآن وتأول بعضها ، وترفض البعض لآخر ، كما أن هذه الدعاوى تنكر السنة النبوية ، وتتخذ من «الباب» «والبهاء» «والقاديانى» أئمة كبدائل للرسول صلى الله عليه وسلم .

ماذا نقول فى هؤلاء وهؤلاء . . . اتقول انهم من اصحاب الراى وأن دعاويهم السافرة من الدين أم نخرجهم عن الاسلام ، ونعتبرهم فرق ضالة خارجة عن الدين .

ان أهم مايربط المسلم بدينه أن يعرف حدوده ، فاذا تعدى حدود العبودية لله ، وتناول بطيش عقله وهوى نفسه الى منازعة الله فى ملكه ، والاعتراض على حكمه وحججه الدامغة فى الخلق والكون والحياة . . . اذا تعدى حدوده الى منازعة الربوبية فقد خرج بالكلية عن حقيقة الدين .

ان الاختلاف فى الفروع والتفصيلات الجزئية دون اصول

الدين مقبول عقلا وشرعا ، وذلك من باب السعى والرحمة واليسر
على المسلمين ، فان أخطأ المفكر فله أجر وان أصاب العالم فله
اجران . . .

اما أن يزعم المفكر او الاديب أنه بمقدره أن يضع نظاما
أو (برنامج) ، يشرع أو يقنن فيه على هواه فهذا باب خفى يراد
منه التحلل والخروج عن شريعة الله .

ان المستغربين وبعض المستشرقين يزعمون أن بمقدورهم
خلق معدوم واستحداث الجديد فى مجال الدين والتربية
والاخلاق ، ويتوهمون بأنه مادامت الحضارة المادية العوراء قد
نجحت فى مجال العلوم العلمية والتطبيقية والتكنولوجية ، فان
حضارتهم قادرة أيضا أن تشرع للناس ناموسا جديدا ، وقانونا
اخلاقيا ينسخ الاديان السماوية التى هى فى ظنهم أفيون
الشعوب .

لقد نسى هؤلاء ان العقل الانسانى الذى خلقه تعالى عاجزا
فى البداية والنهاية عن الوصول الى الحقائق الكلية ، اذ أن
الانسان خلق ضعيفا وقدراته محدودة وعلمه قليل ، لذلك ارسل
تعالى الانبياء لهداية البشر الى الطريق المستقيم ، وأوحى اليهم
بما يصلح للناس فى ديناهم وآخرتهم .

لكش هناك مجالا للعقل الانسانى يمكن ان يتحرك فيه وأن
يسعى له ، وقد سخره تعالى للمؤمن ، فاذا تأمل وسعى فى
الأرض ، استكشف بعض الاشياء الخفية فى الكون ، واستجلى
بعض سنن الله التى غمضت عليه ، وهذا مايسر لحضارة القرن
العشرين من مستحداث ومستكشفات فى مجال العلوم العملية

والتطبيقية كالميكانيكا والكهرباء والطبيعة وغيرها . . .

لكن يطرح هذا التساؤل نفسه : هل استطاع الانسان فى القرن العشرين أن يتوصل الى تشريع او تقنين فى مجال العلوم الحديثة ؟ . . . أو بالاساليب العلمية الحديثة أوصله الى التكامل الأخلاقى ؟

ان الاحصائيات تدل على أن انسان القرن العشرين أكثر جاهلية من القرون الاولى، فانه تحدث فى اعظم مدن العالم تقدما كل ثوان جرائم فظيعة من بقر للبطون، الى مهاجمة للبنوك، الى قتل الابرياء والعزل بغير الحق . . . فهل توصل اصحاب الرأى الى تقدم مافى التربية والأخلاق والتشريع يؤمن الناس على حياتهم ومستقبلهم واعراضهم .

اذن فلا بد من شريعة الله ، والدين هاد للعقل الإنسانى من الوقوع فى الافراط والتفريط والاسراف والتقتير ، والوصول بالانسان الى الوسط العدل وهو الخبر الفاضل للبشر فى الدنيا والآخرة .

(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)

(ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

اذا اراد د. يوسف ادريس حقا ، أن يكون له رأى فيجب أن ينبغ رأيه من حقيقة الدين بلا افراط أو تفريط ، وعليه

أن يتواضع فلا يخرج عن اجماع الامة ، اذ الراى الرشيد هو الذى لا يمس اصلا من اصول الدين أو يتصادم مع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم والا كان ظلما للنفس واتباعا للهوى (١) .
واخيرا أقول ، لو ادعى احد من الناس كان من كان أنه قادر بذكائه أو علمه أو سلطانه أن يخدع الناس فانه فى حقيقة أمر مخدوع ، ذلك لأن الله تعالى يظهر الحق على لسان الصادقين ويكشف ظلم المغتربين، وان طال الأمد كما اظهره تعالى على لسان امرأة العزيز عندما ظلمت يوسف عليه السلام فقالت مقرة بذنبها :

(الآن حصص الحق ٠٠٠ أنا روادته عن نفسه)

لا بد أن يظهر الحق ولو طال الأمر ، ومهما توهم الخادع أنه استطاع أن يخدع غيره فهو مخدوع لأن الله سيفضحه امام العالمين :

(فلا يحزنك قولهم انا نعلم مايسرون وما يعلنون)

صدق الله العظيم

(١) رد د . يوسف ادريس فى اهرام ١٩٨٣/٢/٢٨ على المؤلف مهاجما الضحابة منكرا أنهم قدوة للمسلمين بل اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم كبشر ليس قدوة . وهذا سبب رد المؤلف عليه .

هوى . . . اصحاب الهوى

ان اعظم مشكلة تواجه الانسان فى حياته
عبادة الهوى ، واذا غلب الهوى على النفس جنح
العقل ، واظلم القلب ، فلا يسمع الانسان كلمة
الحق ، ولا يرى الا الابطال والاضغاث والاشباح
المفرعة تؤرق منامه وتجعله فى حياته تعسا شقيا .
والذين يعبدون الهوى ، لا يفقهون حديثا ،
ذلك لأن ما يدركونه بأسماعهم وأبصارهم من العلم
لا ينفذ الى قلوبهم . . .

(لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها)
« الاعراف : ١١٦ »

أما من اتبعوا الحق فانهم لا يطيعون الهوى بعد ما جاءهم
من العلم ، وهذا هو الفرق بين العاصى والمؤمن فليسوا سواء :
(أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا
اهواءهم)

« محمد : ١٤ »

ان الهوى عدو العلم الحق ، اذ يقود صاحبه الى ارتكاب
المظالم واتيان الفواحش والصد عن سبيل الله ، وهو ظالم لنفسه
فقد حرمها نعمة الايمان وحجبها عن نور المعرفة ، فعاش حياة
الخوف والفرع وشحن بالحق والحسد لغيره ، واغواه الشيطان
فضل سواء السبيل .

(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)

« القصص : ٥٠ »

(بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم)

« الروم : ٢٩ »

فعبادة الهوى جهل وانحراف عن هدى الله ، والهوى ظن
كاذب واحتواء شيطاني وتخيل ووسوسة لا تقود الا الى الضلال
والفساد والافساد :

(ولا تتبعوا اهواء قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا)

« المائدة : ٧٧ »

لكن لماذا تتبع النفس الهوى بعد ما جاءها من الحق ؟
ان الغفلة تقود الى الهوى ، والغفلة ثمرة فجأة لعدم الاستقامة
(واستقم كما أمرت ولا تتبع اهواءهم)

« الشورى : ١٥ »

ولكى لا يتبع الانسان الهوى ولا يفضل عن طريق الاستقامة
عليه أن يذكر الله دوما حتى لا ينسى ، اذ ذكر الله يؤنس القلوب
ويربطها بالله برباط مكين .

فاذا نسي أمر الله ، وطال به الأمد غشى قلبه الغفلة وسقط
في براثن الهوى فضل عن سبيل الله . . .

ويوضح لنا تعالى في كتابه العزيز ، أنه اذا كانت الصلاة
تطهر الانسان فلا يقدم على اتيان الرذائل وتنتهاه عن الفحشاء
والمنكر ، فان الذكر الدائم لله ليحقق فائدة اكبر للنفس اذ يجنب
النفس الوقوع في الهوى والضلال . . .

(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)

« العنكبوت : ٤٥ »

(واذكروا الله ذكرا كثيرا)

«الأحزاب : ٤١»

وبالاضافة الى أن ذكر الله الدائم يعين العبد على عدم نسيان أمر الله ومن ثم عدم الوقوع فى الغفلة التى تقود الى الهوى والضلال ، فان الذكر الدائم لله يحقق للانسان أعظم نعمة له فى حياته الدنيا الا وهى السكينة النفسية والطمأنينة القلبية .

(الا بذكر الله تطمئن القلوب)

«الرعد : ٢٨»

وعلى النقيض من ذلك فان اصحاب الهوى يعيشون جل حياتهم فى قلق مزمن وخوف دائم ومهما تظاهروا بالسعادة ، فان الحقيقة ان بواطنهم يخيم عليها التعاسة والشقاء المقيم . .
فأصحاب الهوى براكين تغلى من الداخل تكاء تتفجر وتتقاذف منها الحمم ، وهم كالآوتار المشدودة التى تكاد أن تنقطع ، لكنهم يبطنون غير ما يظهرون ، ويخفون غير ما يعلنون . . .

ويختلف عباد الهوى فى ضلالهم ، فمنهم من يزعم العلم وما يتبع الا الظن ، ومنهم من يتوهم الهدى وما يعبد الا الشيطان ومنهم من يخيل اليه الباطل حقا والحق باطلا وهم اصحاب الدغاوى والضلالات . . .

ولا يكف اصحاب الهوى عن التعريض بالمؤمنين ، فان منتهى أمانيتهم أن يضلّوهم ، فان لم يقدرُوا فانهم يكيدُوا لهم كيدا ، ويسلطُوا عليهم المفسدين لظلمهم والنيل منهم ، لذلك يحث الله

تعالى عباده عدم الالتفات اليهم وعدم اتباعهم او طاعتهم :
(ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا)

للشهوات حسية كانت أو معنوية ، فاتباع شهوة الفرج والمعدة
والافراط طبع اصحاب الهوى ، فغلوهم فى تحقيق الأمانى
الكاذبة واسرافهم فى طلب اللذات العاجلة ، يجعلهم أبدا عبيدا
غاية أساسية لهم . وان خالفت القيم والدين والتقاليد ، وكذلك
الامر بالنسبة للشهوات المعنوية كشهوة العدوان والتكبر
والاستعلاء سواء كان ذلك باستخدام اللسان أو الايداء بكل
سلاح وأداة . . .

وينتهى أصحاب الهوى الى المرض النفسى المزمن ولا يعالجوا
منه الا بالرجوع الى حصن الايمان ، ويظهر المرض النفسى فى
صور الوسوسة والشك والريبة والظن السيئ والخوف المقيم
والرجفة والفزع والقلق المقيم ، وهؤلاء المرضى اظلمت قلوبهم
واعتراها الحقد والرعب والاغترار والحرص والرياء والبخل
والطمع والشره . .

فاذا ماتراكمت هذه الامراض النفسية ، صعب العلاج الا
برحمة من الله ، واذا ما اجتمع بعضها سمي صاحبها جاهلا ،
فاذا ازداد مرضا سمي شهوانيا ، فاذا تفاقمت هذه الاسقام
سمى صاحبها المنحرف حتى ينتهى فى آخر امره الى أن يكون
شريرا والاشرار من يجعلون من الخير شرا ومن الشر خيرا ،
انمحت عنهم صفات الانسانية كلها ، ومن نعم الله ان هذا

الصنف من الناس نادر الوجود ..

أما الجاهل والشهوى والمنحرف من اصحاب الهوى فانهم يعيشون فى كل مجتمع يزيد عددهم ويقل بحسب قيمه ونظامه واخلاقياته ...

وربما يتساءل المرء : لماذا يوجد أصحاب الهوى فى كل مجتمع من المجتمعات ؟ والرد سهل ميسور اذ انه بدون معرفة الشر لايتأتى الخير ، فاذا لم يدفع الشر بالخير والخير بالشر لفقد الانسان الاختيار وتوقف عن التفكير وفسدت موازينه واحكامه على الامور كلها ...

وكيف يختار الانسان العمل الطيب ويترك الخبيث اذ كان عاجزا عن التمييز بين الخير والشر ، والحق والباطل ...

ان وجود الخير والشر فى الحياة الدنيا ضرورة كى يتحقق العدل بين الناس ، ويميز بين المؤمنين واصحاب الاهواء ، بين المجاهدين والمتبطلين والمنافقين .. حتى تكون لحياة الدنيوية معنى وللانسان رسالة فيها ، فان اطاع الله فقد نجا وكتبت له الحسنى ، وان ظلم نفسه واتبع هواه فان جهنم هى المشوى ..

الذين يتقولون على الله كذبا

من اليسير على أصحاب الهوى أن يتقولوا على الله كذبا ،
ومن الصعوبة بمكان أن يلتزموا أدب العبودية وأن يقننوا لله
طائعين مستغفرين تأبين . .

ان أدب العبد مع ربه ، يلزمه أن يعرف حدوده فلا يتعداها
أبدا ، يعرف أنه عبد ضعيف والله هو القسوى ، وانه تعالى
الغنى عن العالمين والعبد هو المحتاج على الدوام الفقير على
الاستمرار . . .

فاذا تجاوز العبد حدوده ، واطلق العنان لهواه فأضله عن
قصد السبيل ، فقد أغواه شيطانه ، ونازع الله فى ملكه ،
واعترض على حكمه ، وتطاول برأيه ليتحدى مشيئة الله
وارادة . . .

ان العبد الصالح لا يقصر فى واجبات العبودية ولا ينازع
الربوبية ، ولا يجد لنفسه حولا ولا قوة ، ولا يسمح لنفسه أن
يعبد الله على حرف وأن يأول حكم الله وحججه فى الكون والخلق
والحياة والموت .

ان اقدام العبد على مشاركة الربوبية فى الحكم على الامور
والافعال ، ظلم للنفس ، وافتراء على الحق ، وشرك خفى يوقع
الانسان موقع التهلكة .

(وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون)

ان العاقل من لا يجادل فى الله بغير علم ولا كتاب مبين ،
والا وضع نفسه متهما وحكما بغير حق ، وسقط فى براثن
الضلال بغير علم ولا هدى :

(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى)

وكأن العبد الضعيف المغتر بنفسه يريد أن يجعل الله له
ندا ، فيحاوره ويحادثه ، ويقيس الامور بعقله القاصر وظنه
الفساد ، معتقدا أنه يقول الحق وينشد الخير ، وهو انما يتبع
الظن ويعشش على قلبه الوهم ، ويزعم انه انما يبغى الرحمة
وهو فى عذاب السعير . . .

لقد اوضح الله لنا فى كتابه العزيز ، كل ما يحتاج المرء
لمعرفته فى حياته الدنيا ، وبين له طريق الحق والامن ، كما بين
له طريق الباطل والضياح ، وترك الانسان ليختار بلا اكراه
ولا اجبار الطريق بعد ما اعلمه ، بأن رحلة الدنيا انما امتحان
وتجربة له واختبار . وقد ابتلاه تعالى بالخير والشر فتنة ،
وذلك ليتعرف على معدته ، ويختبر ايمانه ويمتحنه عند المحن
والشدائد . . . ولولا عدل الله ما ابتلاه ولعذبه على أفعاله
التي سيفعلها فى دنياه اذ وسع ربنا كل شيء علما . . .

ومهما حدثت العبد نفسه بالتقوى على الله ، ووافقت
اباطيل الشيطان ، فان الله تعالى سيفضحه ، ويظهر أمام الملا
الباطل الذى يزعمه والكذب الذى يدعيه . . .

(ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم

ان يقولون الاكذبا (

الكهف : ٥

ان الحديث الصادق من الله او عن الله وبكلمات الله وآياته
البينات ،

(ومن اصدق من الله حديثا)

لكن حديث النفس لا يصدق أبدا ، انما هي آماني زائفة
وآمال كاذبة ، ودعاوى تدعيها ، وأضغاث احلام لا يعول
عليها ، وأباطيل ينقشها الشيطان الرجيم في قلوب أصحاب
الهوى .

(ومن اظلم من ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت
يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفي آذانهم
وقرا)

الكهف : ٥٧

يبتلى الله سبحانه وتعالى الناس في هذه الحياة الدنيا بالنعم
والنقم ، والخير والشر ، وذلك لحكمة لا يعلمها الا هو ، ولولا
دفع الله الناس بالخير والشر ، لفسدت الارض ، اذ الدفع ناموس
الحياة الدنيا ، وفيه صلاح الارض والعباد .

ويمتحن الله تعالى الناس بالابتلاءات ليعلم الصالح منهم من
الطالح ، والمصلح من المفسد . فالابتلاء تجربة واختبار يمتحن
فيها معدن الانسان ليعرف الخبيث من الطيب ، والا ادعى
النافق البر والتقوى ، وهو كاذب قنوط .

واذا توهم الانسان ظلم الله له ، واعترض على مشيئته ،
ولامه على قضائه ، فقد كشف تن دخيلة قلبه المريض وفضح
نفسه الكذوب .

واذا لم يتول الله الانسان بهدايته وتوفيقه ، سقط فى
مهاوى الضلال ووقع فى براثن الشيطان ، وتسلسل معه فى
الضلالات ، حتى يوقعه فى الشرك الاكبر ، ثم يتولى عنه
وهو يقول :

(أنى برىء منك ، أنى أخاف رب العالمين)

فاذا لم يتأدب العبد مع مولاه وخالقه ، وموجده ، وفاطره ،
ويعرف حدوده ، ويعلم أن عقله قاصر عن ادراك حكمة الله
البالغة وحجبه الدامغة وآياته فى الكون والخلق والحياة .

اذا لم يعرف الانسان ذلك استحوذ عليه الشيطان واسر اليه
بتهاويله فأفزع وأرعبه ، وبتحاسينه فحسن له الشر وقبح له
الخير ، حتى يقع فى الريبة والشك والتخليط والتخيل . ان من
يتحدث مع نفسه حديث الامانى الكاذبة والآمال الزائفة ،
لا يتحدث مع الله أو الى الله ، كيف وهو يعترض على حكمه تعالى
وحجبه ، اذ لا يمكن أن يكون ملهما من الله ، وهو يقول عن الله
شططا ، اذ أن الملهم من الله يستسلم لقضائه ، ويتخلى عن
أغتراره بنفسه ، والمتأدب مع الله يستسلم له ظاهرا وباطنا ،
ويسترسل معه تعالى دون اعتراض أو تحدى أو افتراء .

ويستحوذ الشيطان على النفس الكذوب ، ويلقى فى روعها

بالامانى الكاذبة والامال الزائفة ، ويظن أفتراء أنه يتحدث مع الله ، وهو فى واقع الامر تحدثه الشياطين ، وتلهمه بالاكاذيب والمفتريات ، ويغفل عن الفرق كأنه ليس هناك فرق بين حديث الشياطين وحديث الله .

(ومن أصدق من الله حديثا)

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)

ان النفس الانسانية اذا استقامت أطمأنت وسكنت ، واذا سائرت الاضغاث والهوى ووافقت الغواية انحرفت عن الطريق المستقيم ، وبثت الشياطين فى روعها الابطال والاحلام ، وظنت أنها بذلك تتبع الحق ، وتوهمت أنها فى طريق الخير لكن الحقيقة أنها تسير فى طريق الانحراف عن العدل والحق ، وهذا هو الظلم العظيم ، وان على الانسان أن يستقيم ، وذلك بأن يطيع الله ورسوله ويؤمن أيمانا عميقا بأنه تعالى لا يظلم أحدا ، فاذا ما استقامت النفس أظلتها السكينة ، وازداد القلب ايمانا مع أيمانه :

(هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع أيمانهم)

الرابطه بين الربوبية والعبودية

ماحرى الانسان بأن يتمثل بكلمات الله التامات ويقتدى بآياته
النيات فقد اوجب على نفسه الرحمة فكيف لانوجب الرحمة على غيرنا من
الناس والعباد . ان الله عفو كريم فكيف لا يعفو ونحن المحتاجين الى
عفوه ورضاه .

ان الله تعالى قد اوجب على نفسه الرحمة ، فيفضل على
عباده بالرحمة وانعم عليه رغم ان الله سبحانه وتعالى هو رب كل
شئ ووليه ، وان كل ماسوى الله مخلوق له تعالى .
ومادام الله سبحانه وتعالى مالك كل شئ ومليكه وان كل
ماسوى الله مخلوق له تعالى . ومادام الله مالك الملك وكل العالم
تحت تصرفه يفعل به مايشاء على مايشاء من غير اعتراض أو
تجبر (١) .

لكن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز « كتب ربكم
على نفسه الرحمة »

(الانعام : ١٢)

هذا التفضل الالهى الذى تفضل به الله سبحانه وتعالى
ووعده به الناس ووعدده الحق وكلامه الصديق يجعل هناك رابطه
بين العبد وربّه رابطه محبة ورجاء فى وعد الله وهذا مايجعل
هناك علاقة وطيدة بين العبودية والربوبية بدون واسطات أو
توسلات فإذا دعى الانسان ربه باخلاص وتوبة نصوح استجاب
الله سبحانه وتعالى لدعائه وانزل رحمة من عنده لتشمله فيعفو
عن آثامه . . .

(١) الفتوحات الملكية الجزء الثالث الباب الرابع والعشرين ١٣٣ /

كما ان هذه الرابطة تعنى ان الله تعالى اوجب على نفسه الرحمة (١) ، ابتداء كما اوجب على الانسان من قبل ان يهبط الى الارض .

(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما)
طه : ١١٥

فإذا نسي الانسان ما تعهد به كما نسي من قبل آدم عليه السلام فان عليه ان يلتجأ الى الله ، فلا ملجأ من الله الا اليه ، ولقد أوجب على نفسه الرحمة للانسان فكلامه تعالى صدق وانه تعالى لا يستجيب للانسان الا بعد دعاء العبد اياه . . .

(ادعوني استجب لكم . . . سورة غافر : ٦٠)
لكن استجابة الله لدعاء الانسان مقترن بالعمل لله ، فلا يكون العبد مجاب الدعاء ، الا اذا استجاب العبد للأمر الالهي على ذلك قول عز من قائل :

(واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . . .
البقرة : ١٨٦)

هناك رابطة بين العبد وربّه فالعبد عليه أن ياتمّر بأمر الله فيطيعه ويعمل له فإذا أخطأ أو نسي أو غوى فان عليه أن يرجع الى ربه داعياً مستغفراً ان يعفو عنه وان يحسن اليه .

ومن ناحية أخرى فإن الله سبحانه قد كتب على نفسه الرحمة فاذا وجد عبده قد انحرف عن الصراط المستقيم أو ظلم نفسه فإنه بواسع رحمته يفر له .

والله تعالى يحب من عبده أن يوفى بعهده كما اوجب ذلك على نفسه فكون العبد يجيب امر الله اذا امره فيعمل العبد اعمالا امره الله بها فأتقنها فقد شرع الله لنفسه أن يجازى هذا العبد الصالح على ما قام به من اعمال البر وافعال الخير وما كلفه به من فرائض وتكاليف بقوله تعالى :

(واوفوا بعهدي ، اوف بعهديكم)

البقرة : ٤٠

فعلى العبد اذن ان يعمل بما امره الله ويطلب الى الله تعالى أن يغفر له فيقول رب اغفر وارحم كما ان الله تعالى يطلب العبد أن ياتمر بأمره ويوفى بعهده :

(انى انا الله لا اله الا انا فأعبدنى وأقم الصلاة لذكري)

طه : ١٤

هناك اذن رابطة بين العبد وربّه تقوم على الصدق والحق والرجاء فى وعد الله والخوف من وعيده تتلخص هذه الرابطة فى العمل بأمر الله من ناحية وفى الدعاء من جانب العبد من ناحية أخرى وهذه الرابطة قائمة على الادب مع الله والطاعة له جميعاً .

ارادة الله وارادة الانسان

يقع كثير من ضعيفى الايمان فى الخلط بين ارادة الله وارادة الانسان ، ويزعمون أمورا ينسبونها تارة الى ارادة الانسان وتارة أخرى الى ارادة الله ، وبذلك يتلبس أمام أعينهم الحق بالباطل والباطل بالحق .

ونظرا لأن العقل الانسانى قاصر فى البداية والنهاية فهو يتوهم احيانا أمورا ويصدر أحكاما بعيدة عن الرشد ، تضلل ولا تهدى وتظلم ولا تعدل . . .

فأحيانا يتصور أن الله تعالى مادام يحب الفضائل واعمال البر وفعل الخيرات فانه تعالى انعقدت ارادته اليها وانه تعالى لا تنعقد ارادته لغيرها من الافعال المستقبحة ، والأعمال المذمومة والرذائل والشرور ، وضعيفوا الايمان يزعمون أيضا أن الله لا علم له أو ارادة له فى فعل المعاصى اذ هى ارادة الانسان وحده وهو المسئول عن فعلها والمحاسب على اقترافها

ومعنى ذلك أن الله يريد الخير وحده وان الانسان يريد الشر وحده وهو المسئول عن أفعاله وحده فى هذا العالم ، فكأن له ارادة منفصلة عن ارادة الله وعقلا غير عقل الله وسلوكا غير سلوك الله وان بمقدوره ان يخالفه ، كما أن بمقدوره ان يطيعه وهذا يدل على أن حكم العقل البشرى غير حكم الله . . . وكأن هناك الهين يدبران أمر هذا العالم الله

والانسان . . . أو أن هناك إله للخير هو الله وإله للشر هو
الانسان .

إن ذلك يعد من الضلال والبعد عن الحكمة والرشاد ، فالله
واحد لا شريك له في حكمه ، يفعل ما يشاء ، يهدي من يشاء
ويضل من يشاء ، فلا يقال إن مراده الخير دون الشر ، فإن جميع
الحوادث الكونية الانسانية في نفعها وضرها ، خيرها وشرها
مرادة لله تعالى ، وبذلك تنتفي الإرادة الانسانية مع الله ، سواء
انعقدت على الخير أو جنحت إلى طريق الشر . . .

فإنه وحده العالم الخبير المدير لهذا العالم على الحقيقة ،
فإذا فعل الإنسان الشر فإنه يستحق عذاب الله ، فلقد خلق الله
الخير والشر والنفع والضر ، ثم أوصى الإنسان بأن يتبع خيره
وإن يندب شره فإذا عصى الإنسان نتيجة للنسيان أو الغفلة أو
الجحود أو الإلحاد أمر الله بذلك لضعف جيلاته واتباعه
الهوى وموافقة الغواية والتوهم والظن بدون علم أو هدى . .

فما دام الله خالق العالم ، فإنه تعالى خالق الحوادث ،
وهو مريد لما خلق ، فلا يزعم أنه خلق شيء وترك شيء ، أو أنه
أرادته انعقدت على شيء دون شيء ، ولا يقال أن الله يريد هذا
الشيء ولا يريد ذلك الشيء ولا ليعملنا لله إرادة مثل إرادة
الإنسان وحاشي أن يكون كذلك . . .

فلو كان هناك ملك من الملوك لا تنفذ إرادته في أهل مملكته
اعتبره الناس ضعيف الهمة مغلوبا على أمره ، فهل يجوز ذلك

على الله هل يعقل ان ملك الملوك وفساطر السموات والارض
القادر الحكيم قد انعقدت ارادته على فعل امر من الأمور ؛ أو
شاء جل وعلا أن تتم مشيئته في فعل من الأفعال ثم أن ذلك لا يتم
أو لا تنفذ ارادته فيما اراد على خلقه .

ان ما يفعله الانسان المؤمن والكافر ، الصالح والطالح ،
التائب والعاصي ، انما هو بعلم الله ومراد الله وحكمة الله
البالغة ، وحججه الدامغة في الخلق والكون فما شاء الله كان ،
وما لم يشأ لم يكن ومهما أراد العبد وعقد العزم عليه فانه
لن يتم الا اذا شاء الله . . .

(ولو شاء الله لجمعهم على الهدى)

الانعام : ٢٥

فاذا أراد الله تعالى أن يهدي الانسان كان له ما أراد ،
ومن شاء ان يضلّه نزع من قلبه الايمان فجعله من الضالين .
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد
ان يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا «

فالله يريد والعبد يريد لكن الله يفعل ما يريد .

حضارة المسلمين المفترى عليها

كلما تأملت فى التاريخ الاسلامى ، بلغت بى النشوة مداها وأنا أتابع انتصارات المسلمين فى حقول المعرفة فضلا عن انتصاراتهم فى الفتوحات الحربية ، وكل من يقرأ ولو شذرات يسيرة من تراث المسلمين الفكرى والعلمى ، لا يسعه الا أن يقف اجلالا واعتزازا بما قاموا به من أعمال عظيمة كانت السبب المباشر لتقدم الانسان نحو حياة أيسر ، فلولاهم ماعرفت التقنية ولا وصل العلماء المحدثون الى حضارة القرن العشرين .

بيد أنه لا يخفى علينا بحال من الاحوال أن الحضارة الغربية الحديثة قد استقطبت علوم المسلمين وتوصلت بفضلها الى اكتشافات جديدة ، ومخترعات حديثة ، الامر الذى جعل من دولها الفقيرة دولا غنية ، ومن شعوبها الضعيفة شعوبا قوية معتزة بنفسها واثقة فى ذاتها .

الا أن الحضارة الغربية لم تستطع أن تنفذ الى روح التراث الاسلامى ، ولم تستطع أن تتعرف على سر حضارة المسلمين ، اذ المقلد يستطيع أن يقلد المادى والملموس والمحسوس فحسب ، وهذا مانجحت الدول الغربية فى تقليده ، ثم تطويره والتقدم فيه بخطوات رائدة .

أما الجانب الروحى من الحضارة الاسلامية التليدة فلم تستطع أن تقلده أو تلمسه ، اذ أن هذا الجانب غير ظاهر

للعيان ، وبذلك لم تنجح الى الآن فى العثور على القيم والمفاهيم والمثل العليا ، التى كانت تحرك ضمير الامة الاسلامية ابان حضارتها الزاهرة التى استمرت قرونا عديدة . .

اننا نستطيع أن نرسل بشبابنا للتدريب على الأجهزة الحديثة ، بل ودراسة التكنولوجيا الحديثة والتخصص فى العلوم العملية والتطبيقية ، وربما يتميز شبابنا فى هذا المضمار عن غيره من الشباب الغربى، كما يلتقط أصول هذه العلوم والفنون والصناعات بسرعة مذهلة . .

لكنه من المؤكد أن أوروبا لا تستطيع أن ترسل لفيث من شبابها ، لتعلم القيم ومكارم الاخلاق ، والا استفادت من القيم والمفاهيم الاسلامية ابان حضارة المسلمين فى الاندلس
ولكان التقدم المادى الاوربى فى العصر الحديث يسير متوازيا جنبا الى جنب مع التقدم الروحى

لم تغنم الحضارة الغربية اذن من حضارة المسلمين الا الجانب المادى فحسب ، أما الجانب الروحى من تلك الحضارة فقد طواه الزمان ، فلم يستفد منه أحد على الاطلاق سواء كان من الغربيين أو المسلمين

فهل يمكن أن نفتش باعتبارنا من المسلمين عن هذا الجانب الروحى من حضارتنا الاسلامية التليدة ونحن أولى من غيرتنا ؟ وهل يمكن أن نرفع عن تراثنا التراب ، وتكتشف فصوصه النادرة ، ونسعى لنجعله قدوتنا فى حياتنا الراهنة . .

ان الجانب المادى من الحضارة الغربية يمكن أن نستفيد منه ، فنحن فى أمس الحاجة لاستخدام التقنية وتطوير مجتمعاتنا باستخدام الوسائل والاساليب الحديثة التى سبقنا الغرب اليها . .

لكننا يجب أن لا نغفل عن الجانب الذى نفتقده نحن كما نفتقده الغرب حتى الان، وهوا الجانب الروحى،والذى به تتكون ذاتية الأمة وتحدد مفاهيمها وأخلاقياتها ومثلها العليا . .

من الصعب على الحضارة الغربية أن تنفذ اليه ، مهما استخدمت من الوسائل والتجارب ، الا انه سهل ميسور لنا حيث انه صادر من ينبوع الذى لاينضب وهو كتاب الله الكريم وسنة رسوله الامين . . .

اننا لن نبذل جهدا كبيرا فى الوصول الى سر التقدم المذهل للمسلمين ايان حضارتهم الزاهرة ، اذا كان رائدنا حقا التمسك بأهداب الدين والعمل بشريعة الله . . .

ان سر تقدم المسلمين انما هو فى تطبيقهم لشريعة الله ، والعمل بها ظاهرا وباطنا ، ومتى كان حكم الله قائما وجد التحضر والرخاء ، ومتى بطل العمل بحكم الله وأصبح الاسلام مسافرا ، وجد التأخر والانحلال والمجاعات . .

فسر نجاح العلماء المسلمين يكمن فى تمسكهم بحكمة الدين، وسعيهم من أجل البحث عن الحق والحقيقة . . فعلومهم كانت مقترنة بالشريعة ، وفكرهم كان هدية القرآن الكريم ،

فلم تتفرق بهم السبل ، ولم يتفرقوا شيئا وأحزابا يخاصم بعضهم بعضا ، فى سبيل تحقيق المنافع الذاتية والمصالح الانانية ، انما كان رائد المسلمين رفع كلمة لا اله الا الله فوق الأعناق ، ومن هنا كان التعاون والمحبة والأخوة ، ومن هنا كان التقدم والعمران ... فأصبحوا بعد قرنين من الزمان أقوى امبراطورية عرفها التاريخ قديما وحديثا ..

وعندما انقسموا واختلفوا وتنازعوا وركبوا الى الملذات واتبعوا الاهواء ... سقطوا فى مهاوى الظلمة وابتعد عنهم العون الالهى ... فوقعوا فى الجهل والفقر والابوئية والمذلة ...

احتاجوا الى غيرهم وكانوا من قبل الاقوياء الاغنياء ، استدلوا لغيرهم وكانوا من قبل يخشاهم القريب والبعيد ... ويخطب ودهم الامير والعظيم من الفرنجة والروم والاكاسرة ... فهل يعلم المسلمون أن سر كبوتهم تغيرهم عن هدى الدين ، وهل يعلم المسلمون أن سر قوتهم يكمن فى تمسكهم بأهداب الدين ... ومتى تحقق للمسلمين عزة التمسك بأهداب الدين ، فسيكون من السهل الميسور الاخذ بأسباب الحضارة المسادية التى يفتقرون اليها ...

خداع الزمان

ومضى العمر يدق في جذور الزمان تجاعيده ، ويحضر على
الوجوه النضرة اضمحاره بقسوة شديدة ، ويحيل الزهرة اليانعة
الى كومة متهالكة من العشب الجاف . . . وكان ماضى كان وهما
لا واقعا وحقيقة . . .

بدأ العد التنازلى وعربة العمر المسرعة تسير متباطئة ،
واصوات غريبة تهدد مسيرتها ولحظات من القلق والخوف
والفزع تفزع ركايبها ، والعدم شىء مرعب لكنه فوق كل
حقيقة . . . انه نهاية المطاف والنقطة التى يتوقف عندها كل شىء
ليتحول الى جسم بلا روح . . . ولا قلب . . . وربما بلا ذكرى . . .

أهكذا أنت ايتها الحياة . . . أجرى حتى ألهمت ساعيا
عاملا . . . ثم ما ألبث ان أرى نفسى وقد استسلمت فى النهاية ،
ووقفت ارقب ذوبانى حتى اتلاشى تماما وكأنى بخار سابح فى
الفضاء ، غطاء السحاب فلم يعد له وجود ، فقد غاب تماما عن
الانظار . . .

وتدور عجلة الزمان فتسحق من كان بالامس ربيعا وتدوسه
حتى يدفن فى اعماق الرمال . . . ويتولد من الموت حياة فما
يلبث الفجر أن يصبح نهارا ويغدو الرضيع شابا موفور القوة
ليجرب ويمرح ويفرح مبهورا بنفسه . . . ثم تجرى عجلة الزمان
فتراه كهلا وشيخا يحضر بين الفيافى مثواه . . . وتنتهى
الاقصوصة بلحن جنائزى وتبقى ذكراه اياما معدودات ثم
تموت الذكريات . . .

أشباح تأتي وأشباح تمضى والكل يتوهم ان الاشباح حقيقة
فلا يكاد يعثر على دليل يبين له الطريق ويشرح له ما غمض عليه
من أمر الحياة ..

وهكذا تضحك الحياة على الانسان وتشغله عن التفكير فى
نفسه فلا يهتم باصلاحها ، وتنسيه الاهتمام بمستقبل عمره ،
فيضيعه ضياعا رخيصا .. وتجري السنون وهو لاهث بين جمع
الحطام والتقاط الدراهم وبناء قصور فى الرمال المتحركة ..

نسيان وغفلة وخوف وقلق تلك هى رحلة العمر يتخللها
بعض الآمانى النفسية والرغبات الخفية والمطالب التى
لا تشبع .. لكن مع ذلك يمضى الانسان وكأن العمر طويل
طويل .. وأنه سيحقق فى القريب ما تمناه . ويأتى القريب
والبعيد فيجد نفسه وحيدا وحيدا بلا معين أو قريب أو صديق ..

ولا يتعظ الانسان ، ولا يستفد من خبرات من سبقوه الى
الحياة ومضوا ولم يحققوا شيئا سوى الندم والحسرة ..
ويستمر الحال على هذا المنوال ونرى الماضى حاضرا ،
والحاضر مستقبلا ولا شيء يتغير فالناس هم الناس فى تكالبهم
واغترارهم وثقتهم بالدنيا وركونهم الى الغفلة والنسيان ..

ننظر بعين الحكيم فلا نصدق ما نراه ، وننظر بحس الجاهل
فنوافق فى مطلبه وهواه ، ومع اننا نعرف ان الحكيم ونظراته
الى الحياة هى الحق الذى يجب الا نتعمده ، الا اننا نغمض
ونغلق قلوبنا ونمضى مع الهوى والشهوات ...

قصيرة هذه الحياة وعلامات غائرة على الوجوه تشهد اننا على حافة الهاوية ومع ذلك لانتوقف عن مطالبنا ، ولا نهتدى الى حقيقتنا رغم ان كل شىء شاهد على ان لحظة العدم قريبة وانهاء الرحلة قاب قوسين أو ادنى . . .

لكننا مع ذلك نخادع انفسنا ونخدع الواقع ونتوهم ان كل شىء خالد وان البقاء لنا دائم والعمر لانهاى ولن يتوقف . . . ثم تأتى النهاية من حيث لاندري وتتوقف جبرا لا اختيارا ونصبح عدما وكأننا لم نكن . . . ويأتى بعدنا اجيال واجيال ، والزمان يدور واللحن الجنازى يعزف تارة ولحن ميلاد جديد يعزف أخرى . . .

اقاصيص تلك هى حياتنا وأوراق صفراء من شجرة الحياة تسقط كل يوم وتستبدل بها وريقات خضراء تستبدل بأوراق واوراق ، والزمان يدور ونحن نساfer ، ويأتى غيرنا أقوام وأقوام ليسدوا الفراغ وكأن لاشىء يتغير ولاشىء يموت . . . ما هذه الخدعة التى نعيشها ، وهل هذه الحياة لا تستحق منا وقفة لننظر الى اين نسير والى متى نتفافل ؟ والى اين نسير . . . والى اين ننتهى . . . والى متى نتفافل عن مصيرنا !! لكن السؤال الذى يجب ان نبدأ به هل يمكننا تغيير مسار الحياة . . . هل يمكننا أن نفعل شىء يحول دفة المركب الى اتجاه جديد ؟ . . .

وهل سيحدث أى تغيير لو غيرنا الاتجاه او المسار ؟ !
بالطبع لا . . . فكل شىء يسير بحسب نظام ونحن يجب أن

نمضى ونسير ولا نتوقف . . فاذا توقفنا فأننا سنظلم انفسنا
ونضيع حياتنا عبثا . . لن يجدى البحث عن المستقبل شيئا . .
لكننا يجب ان نؤمن ان حياتنا يجب ان تكون طاهرة حتى نستقبل
عالمنا الذى نذهب اليه بقلب سليم وهذا هو أهم مافى رحلة
الحياة التى بعدها سنقابل ربا كريما عفوا رحيمًا . . نريد ان
نقابله وقد تطهرنا تماما من الادران وتخلصنا تماما من الاسقام
واصبحنا نستحق حقا نيل ثوابه ورحمته ومغفرته ونعيم الآخرة
التي وعد بها المؤمنين .

مقاومة رغونات النفس

تطلب النفس دوما الاسترواح والخمول ، وتتكاسل عن بذل الجهد عندما تراه عملا ثقيلا لا يتوافق مع ماتحبه ولا يحقق ماتستهدفه من لذاذات الحياة . .

ورغبات النفس مطالب لاتشبع ، وحاجات لاتحد ، وهموم تلقى على كاهل الانسان دون أن يكون له جذور من الحق او الحقيقة وانما تستهدف انشغال الانسان بتلكم الهموم وحملها اينما حل دون طرح لها فى حله وترحاله . .

ومن هنا كانت النفس تحيا جل وقتها فى هم وغم وتتكالب عليها المنغصات التى غالبا ما يفتقد المرء مسبباتها المباشرة ويظل يبحث عن الأمن فلا يجد الى ذلك من سبيل . . .

وتراود النفس بعض الامانى وتتسلط عليها الاباطيل فتتمرد على التكليف او تشور على الواجبات وتهمل فى الفرائض المقررة وتتغافل عن العمل لله والجهد فى سبيله تعالى . . .

وهكذا يبدأ ابليس وزبانيته بث شكوكه وتفضية النفس بخدعه وخداعه ، فتتضخم رغونات النفس وتفقد قدراتها على مقاومة تخاويف الشيطان وتحسينه للشر وتقبيحه للخيرات . . .

وكأن النفس تدور فى حلقات مفرغة لاتسلم من احداها ، الا وتدخل فى أخرى ، تقنط من الرحمة ، وتكتنفها الوسواس

وتعصرها الآلام النفسية التي تشفى بها دون أن تجد ملجأ
يخفف عنها ذلك العذاب الاليم . . .

لقد طالبت النفس فى بداية الامر بالاسنرواح والخمول
وخلدت الى الراحة والكسل وهامى ان تعاني الفراغ النفسى
وتبدو كأنها فقدت ارادتها واستسلمت لموافقة الاهواء وغواية
الشیطان . . .

فمن ذلك الذى ينقذها من بلائها وقد اشرفت على الهلاك
المبين ، ومن ذا الذى يأخذ بيديها فيعاونها للعودة سالمة الى
طريق الاستقامة وقد تمردت من قبل عليه واستمرت العصيان
وانخلعت عن الحق رافضة سبيله وانبهرت بالهوى آملة تحقيق
اللذات والشهوات . . .

انه لأمر جد صعب أن تعود النفس الى سكينتها وتستعيد
صحتها، وترتوى من نهر الأمن العذب، وتشهد نعمة الطمأنينة .
انه لأمر جد صعب أن تعود وقد طال بها الامد فى قسوة
القلب وطيش العقل والبعد عن الصدق والحق والعدل . . .

كيف السبيل اذن الى تسكين رعونات النفس وهى المتمردة
الثائرة القانطة من رحمة الله . . . كيف يمكن تحظى
بالطمأنينة وقد ظلمها الهوى واستبعدتها الشهوات وتلهى بها
الشیطان الرجيم . . .

كان نسيان الحقوق اول عهدا بالاثم ثم تمادت فى

رعوناتها فاستقطبتها الففلة ومضت معها حيناً من الدهر حتى
اصيبت بالشرك الخفى فأضاع منها نور اليقين فتخبطت فى
ظلمات الجهل والجهالة ولم تجد لها سنداً معيناً * * *

وتتضرع النفس أن يكتب لها الشفاء العاجل ، وترجو من
الحق تعالى أن يخلصها من رعوناتها وتتعهد بالتوبة النصوح
وتندم على ما اقترفت من ذنوب وماتمرغت فيه من احوال * * *
وتبدو النفس وكأنها تخلصت تماماً من افنعته الزائفة
وتدثرت بازار الندم وتلفحت بالاستغفار وتوجهت بكليتها الى
الله مستسلمة مسترسلة معه تعالى راجية خائفة * * *

لكن هل تصدق النفس هذه المرة وهى فى كل مرة تعصى
ثم تتوب ثم تعصى ثم تتوب * * * انها لماكرة حقاً * * * تدعى
الصالح اذا تغلقت امامها السبل * * * ثم انها ترجع لرعوناتها
اذا ما وجدت سبيلاً للهروب من اثقال الواجبات ومن مطالب
العبادات ومن المكابدات والمعاناة فى سلوك سبيل الحق والعدل .

وانه لأمر مخجل حقاً أن تطالب النفس بالمغفرة وقد
تدنست تماماً بالخطايا وتجرات على مخالفة أمر الله المرة بعد
المرة ، ولو كان الأمر يختص بحاكم من الحكام أو الى والى من
الولاة لكان الأمر فى غاية الصعوبة ، وكيف يرحمها الحاكم أو
يغفر لها وقد ارتكبت الخطايا والذنوب ماتنؤ عن حمله الجبال
الرواسى * * *

لكن الله تعالى وهو الغفور الرحيم كتب على نفسه الرحمة ،
يتجاوز عن السيئات ويعفو عن كثير ، فكلما لجأت النفس
العاصية الى محرابه قبلها ، وعندما وعدت بالتخلص من رعوناتها
عفا عنها ، وعندما تلتجأ اليه لايردها خاسرة ابدا ...

وليس هو بالحاكم الانسان لكنه تعالى اعدل الحاكمين ،
وبرغم ضعف الحاكم الانسان فانه اقل رحمة من الله تعالى
حاكم الحاكمين وخالق العالمين وفاطر السموات والارض والناس
اجمعين ...

انه العفو الرحيم التواب برغم كماله وجلاله وقدرته
وقوته وسطوته وعلمه الكامل ...

يقبل الله تعالى في رحمته اصحاب الخطايا ولا يكرهم
وعندما يتوبون يبسط عليهم محبته ويقترب منهم كما اقتربوا
منه ويفيض عليهم من نعمه وعطاياه ومننه ...

فكيف تعصى النفس بعد ذلك وقد حظيت بكل تلكم النعم
والهبات ... وكيف ترجع الى غيها وقد اغدق عليها تعالى
بفضله ومننه مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ... كيف تعود هذه النفس الى الغفلة وتتمادى في
رعوناتها بعدما بسط لها رب كريم ايدى الخير والحب
والسكينة ..

أبعد النور ترجع النفس مرة أخرى الى الظلمة !!
أبعد ان تتعرف الى طريق الحق تسلك النفس سبيل
الباطل !! عجباً للنفس الانسانية وأى عجب ..

التوحيد والتذوق الجمالى

يعبر المؤمن عن علاقاته بالاشياء والافعال والأعمال تعبيرا مفردا فلا يحاكي ولا يقلد غيره ولا يتكلف فى انطباعه بما يشاهد أو يراه أو يتذوقه من قيم جمالية أو موضوعات خارجية .

فالمؤمن صاحب تجربة ذوقية يستشعر الوجود من حوله من حقيقة التوحيد ، والتوحيد بهذا المعنى هو فمة الايمان ويأتى التذوق التذوق مقترنا بالتوحيد فكلما ازداد المتذوق ذوقا كلما كان ذلك دليلا على تكامل الايمان .

يقترن التذوق اذن بتوحيد الربوبية ، وهو علامة على أن المؤمن يشعر بالطمأنينة فى حجر الله ويشعر أنه تعالى العفو الرحيم الغفور الكريم الجواد الرحمن الجميل . وهذا الشعور الذى يفيض به قلب المؤمن يجعله يتمثل كل شىء على مشاكلة صفة من صفات الله فكل موضوع جمالى يعرض أمامه يمكن ان يقيمه ذوقا عن طريق مشاكلته للتناسق والتناسب والجمال الذى يراه فى بديع خلق الله وآياته فى الكون والخلق والابداع والحياة .

فحكم المؤمن على الموضوع الجمالى لا يتبع فيه هوى نفسه أو ارضاء شهواته أو اشباع مطالبه الحسية انما حكمه على القيم الجمالية تنبع من تذوقه لتوحيد الربوبية وما يقترن بها من

آيات وابدائع وماتشتمل عليه من تناسب وتناسق وترتيب وانسجام *

انه يربط فى تذوقه للموضوع الجمالى بين عقله الراشد وقلبه المسافر فى ملكوت الله ، فاذا ماشاكل الموضوع الجمالى جمال الله ونحى نحوه، وتمثله المتذوق فى تناسبه وانسجامه فانه يرضى عنه برضى الله ويحبه بحب الله *

ومن هذا المنطلق لايمكن ان يخيب حكم المتذوق او ينحرف عن الصواب فاذا كان العمل الجمالى فى صورة نحاكى بديع خلق الله فانه يمتدح هذا العمل ويشنى على صاحبه ويشهد له بالصدق فى التعبير والتناسب والتناسق والنظام فى ذلك العمل الفنى *

هناك علاقة اذن بين المتذوق والفنان والموضوع الجمالى ويمكن ان نسميها بالرابطه الفنية ذلك ان كلا من الفنان والمتذوق يشربان من نبع لاينضب ابدا وهو توحيد الربوبية فكل منهما يستلهم الحقيقة الجمالية من جمال الله ومن نعم الله ومن بديع خلق الله فالمتذوق يحكم على العمل الفنى والفنان يؤديه ومادام العمل لله وبالله فانه لاشك عملا طيبا خيرا يؤدى به الفنان لرسالة عظيمة وهى اعلاء كلمة الله *

والتوحيد من جهة ثانية يتعلق بالألوهية كما يتلى بالربوبية فاذا كان المتذوق والفنان ينظر الى العمل الفنى من خلال توحيد الربوبية فيثمر زهورا طيبة وثمارا يانعة من ثمار الله فانه من ناحية أخرى يؤدى الفنان عمله من خلال خشية

الله وكذلك الأمر بالنسبة للمتذوق فانه يصدر حكمه على القيم الجمالية من خلال ورعه وخشيته لله فلا يتجنى ولا يتجاوز حكم الله .

فالعمل الفنى يرتبط بتوحيد الربوبية والاحساس الجمالى بالرحمة والعفو والجود الالهى كما يقترن بتوحيد الألوهية وذلك باحترام أمر الله والخوف من وعيده .
فالفنان بين وعد ووعد ورجاء وخوف وجمال وجلال عندما يؤدى عمله الفنى او يتذوقه .

فالفن بهذا المعنى رسالة انسانية وهو عبارة عن عبادة لله تتخذ صوراً واشكالا تعبيرية يحاكى بها الفنان بديع خلق الله . ويأتمر فيها بأمر الله ويجردها من الاهواء النفسية والشهوات الذاتية وطلب الحظوظ وبذلك ينقى الفن من الشوائب والأدران التى تفسده وتبعده عن الفطرة السليمة .

ان الفنان المؤمن سليم القلب ، وسلامة القلب تعاونه على ابراز الصيغ الجمالية فى صور متوازنة ومتناسقة ومتناسبة ومنسجم بعضها مع بعض ، فلا يشوه الطبيعة كما يفعل بعض الفنانين الأوربيين ولايسخر من الانسجام فى الألوان فيضيف اليها من خياله المريض صوراً قاتمة أو دموية أو عدوانية أو شهوية انما يشهد الفنان المؤمن على بديع خلق الله فيبرز جمال الطبيعة وتناسبها واتساقها ويحاول ان يستخلص منها العبر

والعظات التى تعين المؤمن فى ايمان وتعيد الضال الى حظيرة
الايمان .

أما الذين يزعمون انهم يبتدعون من خيالهم المريض صوراً
وتأليف مسرفة ومنحرفة عن التوازن والاعتدال فى الطبيعة
والكون والحياة فانهم ليسوا حقيقة بفنانين لأنهم يطبعون
قلوبهم المريضة على أعمالهم فيتخيّلون أشباحاً وصوراً مفزعة
تحيل الجمال قبحاً والقبح جمالاً وتجعل المتذوق اما رافضاً لها
أو تشريفية الرغبات الكامنة، والرغبات الساقطة والدعاوى الفاسدة،
فتجعله يتخبط بين الحقيقة والوهم وبين الحق والباطل وتلبس
عليه الأمر فلا يستطيع اصدار الحكم السليم على الموضوع الفنى
الذى أمامه .

نم ان الصيغ والقوالب التى يبتدعها بعض المارقين على انها
نماذج فنية ومذاهب جديدة يجب ان يقتدى بها انما ذلك تعبير
مبتسر عن مرض فى النفس يحاول ان يجعل من القبح جمالاً ،
ومن الجمال قبحاً .

وان القيم الجمالية الرائعة لا يمكن الا أن تكون مشاكلة
لبديع خلق الله وللناموس الكونى ومحاكاة لبدائع خلق الله
وحكمه البالغة وحججه الدامغة ، فاذا زعم الانسان انه قادر بفنه
على ان يبدل من هذا الناموس الكونى او ان يعير من التناسب
والتناسق والانسجام فى آيات الله فى هذا الكون الفسيح
العريض فانه كاذب يفترى على الحق ويكذبه الواقع الملموس .

والدليل على صدق ما نقول ان هذه الصياغات الفنية الجديدة المبتدعة التى تظهر فى صور مذاهب ومزاعم ونعرات جديدة بين الحين والآخر ، لاتلبث بعد فترة وجيزة ، ان يخفت بريقها ونورها وينسى الناس آثارها ، وتركن فى دهاليز النسيان كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً وينفض عنها الناس بعد أن كان بعضهم يلهو بها ، ويزعم انها آية فى الفن والجمال ثم اذا به يلقي بها جانبا بعد فترة وجيزة ، كأنها لم تكن بالأمس ما تهوى اليه الأنفس ، وما ترغب فيه القلوب .

ان الفن الحقيقى انما هو الثابت على مر الاجيال والفنان الذى يخلد ذكراه اسما هو المؤمن المتوازن الذى يتقى الله ويأمل فى عفوه واحسانه ويخشى وعده ووعيده فيتجرد عن أهوائه ويسمو بشهواته ليفتح الله عليه برؤى جديدة وقيما جمالية رائدة تشرح قلوب المتعطشين الى الجمال فى أبهى صورهِ وأعظم مضامينهِ وبذلك يكون العمل الفنى تقرباً الى الله ، بصورة مباشرة وكأنه نوع من العبادة فى محراب العمل من اجل الله .

الموسيقى

بين الحلال والحرام

لم نعثر على نص قرآنى او حديث نبوى يحرم الموسيقى أو يبيحها ، لكن هناك قصة عازف المزمار الذى سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم فسد أذنيه الى أنتهى من العزف ، ولاتدل هذه القصة على تحريم الموسيقى أو اباحتها ، فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم انزل اليه بتحريمها ما ترك ذلك لاجتهاد العلماء كما حدث فيما يتعلق بتحريم الخمر والميسر والدم والربا ولحم الخنزير والميتة . . .

لقد دعى الرسول صلى الله عليه وسلم الى مأدبة قدم له فيها ضبا (١) فعافت نفسه من اكله فقال أنا لا احرمه ولكنى لا آكله . . . والضب حيوان مازال يأكله بعض المسلمين ولا يأكله البعض الاخر ولم يقل احد انه حرام . . .

وفى رأينا ان الشعر كالموسيقى والشعر ليس حراما كله وليس حلالا كله ، رغم ان النصوص الواردة فى القرآن الكريم تستكرهه وتنبد اصحابه ، وهناك تشابه بين الشعر واضغاث الاحلام التى هى عبارة عن احاديث للنفس ، وهذا وارد فى الآيات الكريمة فى قوله تعالى :

(هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل افاك
أثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون ، والشعراء يتبعهم
الغاوون)

الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٤

(١) ما يزال العرب فى منطقة عسير يأكلون الضب الى الآن .

(بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراءه بل هو شاعر)

الأنبياء : ٥

(وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون)

الحاقة : ٤١

(وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن

مبين)

يس : ٦٩

فسرت هذه الآيات من قبل الأئمة من أهل السلف الصالح على ان الشعر كالكلام فيه الطيب وفيه المنسذوب وفيه الحرام ، واستندوا في ذلك الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال :

(الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام)

رواه عبد الله بن عمر

وروى — مثل هذا الحديث — الامام ابن سيرين عن ابي هريرة مع تغيير في اللفظ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام)
ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكره الشعر الذي يثير النعرات والعصبية والغرائز ، ويمنع المسلمين ويحرم

سماع اشعار المجون والاباحة والهجاء والخمريات وغير ذلك من قبيح الكلام ، لكنه كان يسمع بعض شعراء المؤمنين الذين اخلصوا للدعوة ، وعبروا عن مشاعرهم بالقريض وقد عفت نفوسهم وسلمت قلوبهم من الانفكاك عن الاخلاق الاسلامية ، واستظلت قلوبهم بذكر الله وحب الاسلام فعبروا عن ذلك بموسيقى الكلام ، وترنيم العبارة ، وبلاغة المعنى ، وعمق الفكر ، وطلاوة الدخن ، واستهدفوا من ذلك العبرة والحكمة والتعبير عن الجمال باللفظ والمعنى فى الناموس الكونى وبديع خلق الله وآياته البينات البالغة الخلق ... وقد استحسن الرسول ذلك منهم ...

ويمكن أن نقيس هنا الشعر بالموسيقى او الموسيقى بالشعر، والموسيقى كلفظ لم يكن معروفا أو مستخدما لدى الامة الاسلامية حتى اوائل هذا القرن ، فلما دخلت الموسيقى الغربية بدأ استعمال هذا اللفظ كبديل للفظ « الآلية » الذى كان مستخدما فى مصر وبعض الاقطار العربية ، ولقد كان الامام ابو حامد الغزالى يستخدم لفظ السماع (١) « ويقصد به سماع المنشدين وضاربى الدفوف والعازفين على الأوتار ...

ويستشهد ابو حامد الغزالى على اباحة الضرب على الدف أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، سمح للسيدة عائشة رضى الله عنها عندما أرادت أن تشاهد جماعة من الحبش يفتنون ويضربون

(١) هذا ما ذكره فى كتابه الاحياء فى باب السماع .

على الدفوف جوار بيت رسول الله ، سمح لها بمشاهدتهم ووقعت
خلفه عليه الصلاة والسلام وقد وضعت يديها على كتفه عليه
الصلاة والسلام وهم يعزفون ويغنون ***

فالموسيقى اذن كالشعر حسن وقبيحها قبيح ، فاذا
كانت الموسيقى خليعة لاتعبر الا عن النعرات والشهوات الهابطة ،
او تخرج الانسان عن عقله واتزانه واعتدال مزاجه بما تثيره
فى النفس من الالهواء فيعبر عنها بالصرخات المبنونة ،
والصيحات الموتورة ويهتز عند سماعها بحركات عابثة ، وبكلمات
فاضحة ، وبآهات داعرة *** فان هذه الموسيقى مما يشجبها
الاسلام ، وينفر منها الدين القيم لأنها اسراف وابتذال وسفه
وغلو وافراط ليست من الشريعة فى شيء ***

ولاشك ان الموسيقى التى تقدم لشبابنا وبناتنا اليوم والتى
تم استيرادها من الفنون الغربية الحديثة اكثرها من هذا النوع
البغيض ، الذى هو عبارة عن تشنجات وصيحات وصرخات
ونشاز يبتعد بالانسان عن الفطرة السليمة ، والعقل الرشيد
والنفس المستقيمة ***

ان هذه الموسيقى الصاخبة تعبر عن الفراغ النفسى ، وتؤكد
على الزمت والقلق والضيق الذى يعيشه عاشقوها والذين
يستجيبون لها ***

ان الجمال الفنى العبق ليس فى الاثارة والازعاج والحويل

والصراخ ، انما الجمال الحق فى الانسجام والتناسق والتناسب
فى غير اسفاف او ابتذال ، فالطبيعة تعبر عن الجمال بهذا
المعنى الخالد والنواميس الكونية تزكى فى النفس حب الجمال
والله تعالى يبين أن كل شىء خلقه يعبر عن جمال يغذى الوجدان،
ويملاً القلوب سعادة ونشوة ، يقول تعالى :

« خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، والانعام
خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها
جمال حين تريحون وحين تسرحون »
(النحل ٤ - ٦)

ان الجمال الحق ليس فى الجمال الحسى الشهوى المقيد ،
وانما فى الجمال الغير محدود واللامقيد . لأنه فن صادق
يعبر به المؤمن عن ايمانه ببديع خلق الله وآياته البينات فى
الكون العريض ...

ان الفن الحق جمال حق لانه حقيقة وجدانية ، تزكى
النفس وترتفع بها عن الأدران ، وتسمو بها عن الضلالات ،
والموسيقى الحق فنان مؤمن يواكب الحقائق الكونية التى تسير
فى نظام وتناسق وانسجام وترابط ، والموسيقى الحق لا تعرف
وانما تعبر عن النظام البديع لخلق الله فى السماء والنجوم
والكواكب والبحار والانهار والوديان والجبال والرياح ...
وكلها تصدر الحانا وانغاما فيها جمال ...

فالبلابل تشدو ، والطيور تغرد ، والرياح تصفر ...

يقول ذو النون :

الهي ما أصغيت الى صوت حيوان ، ولا الى حفيف شجر
ولا خير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنعم ظل ، ولا دوى ريح ،
ولا قعقة رعد ، الا وجدتھا شاهدة ، يوحدانيتك دالة على انه
ليس كمثلك شيء »

البحث عن الخير الاسمى

لاشك أن من اصعب لأمر على المرء ربط الفكرة الطيبة بالسلوك العملى ، فهناك عوائق كثيرة تقف حائلا دون تنفيذ ما يراه المرء أحق بالاتباع وما يشعر أنه الواجب العمل به .

ولقد شغل المفكرون من قديم الزمان بهذه القضية ، وأدلى كل منهم بدلوه فيها وناصر هذا المفكر بعض المستجيبين له ، وعارضه البعض واصبحت القضية الآن معقدة كل التعقيد ، الا انه يتوجب أن نضع التساؤل الآتى :

هل يجب أن نعمل على تطبيق ما نراه خيرا لنا ولغيرنا !!

ولكى نجيب على هذا التساؤل يجدر بنا أن نحلل أولا ما نقصده بالخير لغيرنا وبالخير لانفسنا فالاتفاق على المعانى التى تبدو عامة وشاملة هو الأساس لاصدار الاحكام والافعال .

يبدو لنا أن الخير لانفسنا ولغيرنا ليس أمرا يتفق عليه الناس جميعا ، فالجانى فى جريمة ربما تكون اجابته عند سؤاله لماذا ارتكب هذا العمل ؟ يرد - وهو مطمئن - انه انما فعل ذلك لخير الناس ، وكذلك الأمر بالنسبة لاصحاب الافكار الخاطئة فانهم يدافعون عنها حتى الموت برغم شذوذها وبعدها عن الفطر السليمة والرشد والتعقل واذا ما سألتهم لماذا يدافعون عن تلك الآراء الفجة التى لاتستقيم مع العقل والمنطق

السليم . . . أجاوبك فى لغة واحدة كأنها لحن نشار : انما ندافع عن الخير لانفسنا وللناس جميعا . . .

وفى تصورنا أن الخير واحد فى غايته . ولا يمكن تجزئته الى اجزاء من الخيرات ، بعضها خيرا وبعضها شرا ، فالعمل الذى يحقق خيرا لانفسنا ليس بالضرورة عملا يحقق الخير للناس ، بل ربما ما يحقق من الاعمال خيرا للناس ، يتعارض مع ما ينشده الفرد - فى تصوره - من خيرات . . .

وكأن الخير بهذا المعنى مصطلح من الصعب الاتفاق عليه بين الناس جميعا ، لأن كثيرا منهم يراه فى افعال واعمال يراها غيرهم شرا مستطيرا ، وهكذا تختلف المحركات والمعايير عند اصدار الاحكام على الافعال والاعمال والسلوك العملى . . .

القضية اذن فى الحكم على معنى الخير تتصل بالمفاهيم والقيم والعادات والاعراف ثم بالبيئة المحلية . . . ويبقى التساؤل الذى طرحناه اول الأمر بلا اجابة شافية وهو هل يتوجب أن نعمل على تطبيق ما نراه خيرا لانفسنا ولغيرنا . . .

مادمنا قد وصلنا الى الباب المسدود فيما يتعلق بصعوبة الاتفاق بين خير الفرد وخير الجماعة ، فانه يجدر بنا أن نستبعد ما يراه الجماعة خيرا لهم الى حين ، كما علينا ان ننحى جانبا ماتراه عواطفنا الجياشة من صنوف الخير لانفسنا حتى يمكن أن ننظر الى هذه القضية باستقامة بعيدا عن الاهواء والشهوات . .

ولن يتحقق لنا ذلك الا اذا تزهدنا فعلا فى تحقيق المطالب
العاجلة لانفسنا أو موافقة غيرنا مما تربطنا بهم صلات
وعلاقات عاطفية أو أبوية أو قرابة من اى نوع . . .

واذ تم لنا ذلك فانه من الممكن بعد ذلك النظر الى الخير فى
عموميته وشموله دون التدنى الى التفاصيل الجزئية التى
تحرمننا من اصدار الحكم السديد على الأفعال والأعمال . . .

وعلىنا أن نقفل راجعين بعد أن اكتشفنا ذلك السراب الذى
ضللنا كثيرا ، لنعود بتصميم أكيد ونية صادقة فى استيضاح
معنى الخير للجميع . . أى الخير الاسمى لكل الناس . .

ولا أخال ان هناك من طريق أقصر يوصلنا الى الحقيقة
ويساعدنا فى صدق واخلاص للامساك بخيوطها الذهبية
والوصول الى بر الأمان فى يسر وسهولة ، لا أخال أجد طريقا
أقصر من الطريق الذى رسمه لنا الله وأمرنا تعالى باتباعه
ونهاننا عن سلوك غيره ووفقنا الى العمل به ثم أمدنا برعايته
وعظيم عنايته وبشرنا بالثمرات اذا ما كابدنا فى تحقيقه وانعم
علينا بنعمه الظاهرة والباطنة مادما نخلص فى تحقيق ماأوصانا
به تعالى . . .

ولكى يكون خير الله مفهوما لنا جيدا علينا أن نسترجع
كتابه الكريم لنستعيد آياته ، يقول تعالى فى كتابه العزيز :
« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »
(البقرة : ٢٦٩)

والخير مرتبط بالايمان ارتباطا وثيقا ، وهذا وارد فى قوله عز من قائل :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك خير البرية »
(البينة : ٧)

فالحكيم هو المؤمن لأنه بايمانه قد غلب هوى نفسه واستقام فى طريقه ، فلم يعد يرى الخير فى تحقيق لذاته أو اشباع شهواته ، وانما الخير كل الخير فى اتباع أمر الله ، وربما ما يحسبه هو خير لنفسه هو شر له ، وما يراه شرا له هو خير فى عاقبته :

« وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »
(النساء : ١٩)

فالحير للنفس انما فى طاعة الله والعمل بأوامره وليس الخير مقرونا بالدنيا فحسب ، بل الآخرة خير وأبقى ، وهو الذى يحقق السعادة فى الدنيا وفى الآخرة :

« وما تقدموا لأنفسكم من خير ، تجده عند الله هو خيرا وأعظم أجرا »

(المزمل : ٢٠)

فالأخيار على الحقيقة ، هم الصابرون الطائعون المؤمنون بالله واليوم الآخر ، يقول عنهم عز من قائل :

« وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار »

(ص : ٤٧)

فاذن العمل بما تهوى النفس ليس فيه بالضرورة خيرا .
حتى ولو ظهر أمام الناس انه أولى بالاتباع سواء صدر هذا
العمل من جماعة أو افراد ، اذ العمل الذى فيه الخير الكثير ، هو
الذى يتوخى تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى والنهى عن نواهيه
دون أن يرتبط ذلك بمنفعة ذاتية أو مصلحة شخصية :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرى »

(الزلزلة : ٧)

أما الذى يظن اغتراراً بنفسه الخير ، ويعمل متوهماً أنه
على الحق دائماً ، فهو فى الواقع يشابه ابليس فى سلوكه مع
ربه ، كما ورد على لسانه فى قول عز من قائل :

« قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار ، وخلقته من طين »

(ص : ٧٦)

وخلاصة القول فيما يتعلق بالتساؤل الذى أوردناه ، ماهو
الواجب الاتباع ؟ خير النفس أم خير الجماعة ؟

انه يتضح جلياً ، أن الخير كل الخير للفرد والجماعة هو
اتباع الخير الذى أوصانا الله باتباعه ، سواء كان ذلك فيما
يتعلق بالعبادة أم بالتفكر أو بالسلوك العملى - لأن ما يظننه
الانسان شراً له هو عند الله ، ربما يكون خيراً ، فالانسان ،
مهما كان ، عاجزاً فى البداية والنهاية عن تقرير ماهية
الخير ، الا اذا كان متبعاً أمر الله ، وحججه الدامغة ، وحكمته
البالغة * ويقينى أن ذلك لن يتأتى الا بالطاعة والصدق مع
الله ، والاخلاص جميعاً .

حديقة الأنعام الناطقة

« انما يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام »

اذا زرت حديقة الحيوان ، ورأيت بعض القردة تسلك سلوك الانسان وتقلد حركاته وسكناته . عجبت أشد العجب وابتسمت ضاحكا ، واذا وجدت بعض أنواع الطيور تصدر اصواتا كأنها كلمات متقطعة أو جمل متكاملة واذا نطقت ببعض الالفاظ رددتها محاكية لك ... اذا حدث ذلك ، وكثيرا ما يحدث تملكتك الدهشة وأثارت في نفسك الفضول والغرابة .

لكنك اذا قرأت أو سمعت أو شاهدت بعين رأسك بعض بنى الانسان يفعلون مايفعل الحيوان ، ويسلكون سلوكه ، فيلعبون بلا هدف واضح ، ويعبثون بدون شعور بالمسئولية والخطيئة ، ويلهون لهوا غير برىء وكأنهم فى حوض سباحة أو فى غابة .

لو رأيت أو سمعت أو شاهدت شيئا من ذلك اختلفت فى نفسك الاحاسيس وتغيرت الانطباعات ، وتباينت الاحكام وبحسب ورعك وتقواك وجودا وعدما يتحدد موقفك مما تراه وتسمعه ...

هناك مواقف متعددة يمكن ان تقفها حيال العبث الذى امامك ، فاما أن تنكره أو تحاول أن تقومه بيدك أو بلسانك أو بقلبك واما أن تباعد عنه أو تتجنبه كموقف سلبى حياله ، واما ان تبسم له وتسعد به وتشارك فى احيائه وتعاون فى

انمائته ثم تنصرف سعيدا مسرورا وقد انطبع في نفسك فتحاكية
وتقلده ما وجدت الى ذلك سبيلا . .

لكنك لو تأملت نفسك في موقفك الاخير واستعدت صورة
موقفك من القردة والطيور في حديقة الحيوان لوجدت أن هناك
تماثلا بين الموقفين برغم التباين بينهما فالموقف الاول مع
الحيوان والموقف الثانى مع الانسان . . .

لو تأملت الموقفين حقا وصدقا لاستخلصت العبر وخرجت
بحزن وأسى على ارتكاس الاخلاق في هذا الزمان ونكوص انسان
القرن العشرين الى موافقة الفرائز الحيوانية وارتداده السلوك
الشهوانى فى المناحى المختلفة للحياة ، وكأنه فقد عقله الرشيد
وهو الجوهرة الفريدة التى وهبها الله له ، وقد غاصت فى
الأوحال ، وكأنه حجب عن قلبه النور فما عاد يرى شيئا سوى
خيالات فى الظلام واشباح تحركها خيوط وكأننا فى مسرح
للعرائس . . . واما النفس فلاهثة تجرى وراء اشباعيات
البطن والفرج ولا تشبع ابدا من جوع . . .

تلك هى حديقة القرن العشرين الناطقة . . . استبدلت
الحيوان بالانسان وبدلا أن يقلد ويحاكى فيها الحيوان الانسان ،
أصبح شعار الحديقة الجديد محاكاة الانسان للحيوان . . .

واذا كانت محاكاة الطفل الصغير للكبير تعد مدخلا لسعادتنا
وسرورنا ، وكذلك فاننا نفرح كثيرا عندما تقلد القردة
والبيغاوات أفعال الانسان وكلامه فهل يمكن أن يكون الامر

كذلك اذا كنا نحن البشر العقلاء نهبط لنفعل مايفعله الصغار
فنحاكي الطفل ونقلد الحيوان فى سلوكه وتصرفاته وحياته
فى الغابة والصحراء ..

ان قضية الذين لايعرفون ماهى رسالتهم فى الحياة وماهو
الواجب اتباعه .. انهم لايتأملون ولايتفكرون .. أهملوا ذلك،
العقل وهو امانة لديهم واتبعوا الالهواء وهى ضد فطرتهم التى
فطرهم الله عليها ...

والعجيب أن الحيوان يسلك فى اشباع حاجاته الفرائز
المجبول عليها وذلك فقد رفع عنه التكاليف ، كما يفعله انما
يفعله بمقتضى طبيعته .. الا ان الانسان عندما يسلك سلوك
الحيوان فيزنى وقد أمر بالعفة ، ويسرق وقد نهى عن السرقة ،
ويقتل والقتل من اكبر الكبائر ... فكيف يمكن أن يبرر
للانسان هذه الافعال المستقبحة والالوصاف الذميمة والسلوك
البيهمى الشائن ...

رب قائل أن الانسان ربما يقع فى الزنا لكنه يرجع عن اثمه
ويثوب الى رشده ويندم على فعله ، فلا يمكن ان يشبه بالحيوان
الاعجمى الذى لا يفرق بين الحلال والحرام ...

والحق أن ذلك يحدث فى الواقع المشاهد ، فالانسان يعصى
ويتوب ، ويؤمن ويكفر ، لكن ماهو الرأى فى ذلك الانسان الذى
أصبح جل همه ، ومبلغ غايته ، أن يسعى لاشباع اكبر لذة ممكنة
وفيلسف الأمر ويبرره بدعاوى الحرية واختيار المواقف بل

انه يقارب بين موقفه فى اشباع اللذات ونهمه فى مقارفة الرذائل وبين موقف الانسان الباحث عن الخير الأسمى ، المجاهد العالم العامل العارف بالله ... انه يجعل الزانى السارق القاتل على قدم المساواة مع الطاهر التقى سواء بسواء ... وفى ذلك يقول جان بول سارتر فى تبجح العاهر وقد فقد كل حياء !

ان اعنى القتلة واعظم القدسيين فى درجة واحدة من حيث العظمة والجلال لأن كلاهما قد اختارا بجرأة وحرية موقفًا اختياريًا ...

ويريد هذا المتفلسف أن يربط بين مقولتى الخير والشر فيجعل ما هو شر يمكن أن يكون خيرا وما هو خير يمكن ان يكون شرا فلا فرق بين الخير والشر اذ أن كل منهما سبى ...

وهو يردد ما قاله السوفسطائيون الاقدمون من الانسان معيار الاشياء مما يراه خيرا فهو خير وما يراه شرا فهو شر ، لكن جان بول سارتر وتلامذته لا يأتون بالجديد وانما يحاكون قول السوفسطائيين بصياغات مستحدثة تتفق وطابع العصر ...

وكأنهم خرجوا على العالم بموضة فكرية كموضة الأزياء التى اقتبست من الفراعنة القدماء مع بعض الالوان الجديدة ...

والتاريخ الانسانى يشهد على صدق مانقول ، فان هؤلاء السوفسطائيين الجدد لم يبتكروا جديدا ولم يطوروا قديما ولم يستحدثوا شيئا ... انهم من المتبطلين السلبيين الذين

يقلدون كل ما هو شاذ وقبيح وبهيمى ومخالف للعقل الرشيد
والنفس المستقيمة والقلب السليم . .

انهم يهبطون بوعى او بلا وعى الى حديقة الحيوان فيحاكون
أفعاله ويترسمون خطاه ويسلكون سلوكه ثم يزعمون آخر
الأمر انهم يتفلسفون ويخترعون فكرا جديدا ونظريات
مستحدثة . .

هذا التفليس الفكرى يقود دعواه الكثير من المستغربين
فينشرون الفساد والافساد ويهبطون بالانسان الى اسفل سافلين
وقد خلقه الله فى احسن تقويم . .

انهم يأخذون الانسان الى حديقة الحيوان لا ليشاهد انواعه
واجناسه بل يشدون على يديه ليسلك سلوكه ربحاكيه فى الفكر
وهو أعجمى وفى الفعل وهو غرزى ، وفى العمل وهو غير
مكلف . . .

قرأت وأنا فى غاية الحزن والاسى دعاوى جان بول سارتر
فى عدد ديسمبر ٨١ من مجلة عالم الفكر ، وعجبت كيف لا يرد
عليه الكتاب من اصحاب الفطر السليمة عندما يزعم أن اللواط
ليس شرا انما احد اللذات العظيمة وان القاتل هو بمثابة
قديس . . .

وكأننا نروج فى هذا العصر الذى تقدمت فيه الوسائل
والمستحدثات والمكتشفات الهائلة . . . نروج فى هذا لا للعقل
الانسانى وانما للسلوك الحيوانى . . .

فهل مل الناس من عقولهم ؟ أم ارادوا استبدالها بشيء
مستحدث وجديد . . . !! . . ربما ارادوا التغيير فلم يجدوا
الا صناعة جديدة اسموها حديقة الانعام الناطقة . . .

وفى هذه الحديقة خلعوا عنهم عقولهم ، وانغمسوا بكليتهم ،
يعيشون فى الارض فسادا وفسادا . . . فيتمردون على كل
القيم الطاهرة ، ويرفضون كل صلاح واصلاح . . .

الى أين يتجه هذا العالم وقد اوشك القرن على الرحيل ،
ان القرودة فى حديقة الحيوان وفى الغابة لم تستطع أن تصنع
حضارة وقد عاشت منذ ملايين السنين وكذلك سائر الحيوان . .

فهل ياترى يريد هؤلاء المفكرون الجدد من بنى الانسان أن
يجربوا حياة الغابة ام يبنون حديقة الانعام الناطقة وبئس ذلك
فكرا وسلوكا وحياة . . .

لماذا يسعى الانسان فى هذا العصر الى تعاسته ، ويهرب من
الحق الى الباطل ومن الجنة الى الجحيم . . . لماذا يركض لاهثا
ليرمى بنفسه فى النار ؟ . . .

فقد انسان العصر ايمانه بربه ، فضيع آخرته بشهوات
الدنيا وملذاتها . . . وهاهو يعيش الآن كالانعام أو أضل
سبيلا . . .

ومن الواضح أنه لمن الصعوبة بمكان اخراج انسان هذا

العصر من هذه اللعبة الخطرة التى يلعبها والتى توشك أن تدمر
جسمه ونفسه وعقله جميعا . . .

وماذا نستطيع أن نفعل والحال هذه الا أن نتوجه بقلوبنا
وجوارحنا الى فاطر السموات والارض العفو الرحيم . . .
نتوجه اليه ليرحمنا ويهدى من شاء الى سواء السبيل .

حديقة الحياة

لكي تقتطف الورود في حديقة الحياة يجب ان تتحمل
بعض الآلام ولا تتوقف عندما تعترضك بعض الاشواك لتفسد
عليك بهجتك واستمتاعك بشذى الورود وما تحيطك به من
النشوى والسرور .

انك الآن تتوقف عن السعى في تحصيل الورود . . فقد غلبك
شيطانك واضاع عليك عملك ووافقته نفسك فتبطلت
واستسلمت للاهواء . .

ولا تظن انك بانسحابك من حديقة الحياة قد غنمت
السلامة وبعدت عن الاشواك فان اشواك التبطل والسلبية
والانعزال ، لأفتك بك من أشواك الورود ، ولن يتركك
شيطانك سعيدا آمنا أبدا بل سيكدر عليك حياتك ويحملك
ما لا تطيق فكرا وعملا وسلوكا ، ثم يوقعك في أضغاث الاحلام
وحمل الاباطيل فلا تفيق منها ابدا . .

هذه حقيقة حديقة الحياة اما ان تدخلها زارعا وحاصدا
متحملا لاشواكها صابرا في حرثها وريها وبذرها ومنتظرا
لثمارها ، واما واقفا ببابها ناظرا اليها من بعيد خائفا من
اشواكها مستثقلا ريها وحرثها وبذرها متشككا في حصادها
مرتابا في ثمارها . . .

والذي يفعل ذلك ، في الناس كثير ، يدخل ويخرج

من حقيقة الحياة دون ان يؤدى رسالته وكأنه لم يكن فى حقيقة الامر موجودا ..

حقيقة الحياة فيها معاناة ومكابدة ومشقة لكن ثمارها لذينة الطعم يتمناها الجميع * لكن بعضهم يريد أن يأكل الثمار او يستمتع بشذى ورودها دون ان يتعب نفسه فى زراعتها او يحصد مزرعه غيره وينسب الجهد المبذول فى ذلك الى نفسه ..

هكذا امر المجاهدين والقاعدين والقانطين ، فالمجاهدون يحراثون ويبذرون ويروون حقيقة الحياة ، والقانطون يخرجون منها كما دخلوها أول مرة لا يفعلون شيئاً سوى التهجم على المجاهدين والعاملين والسخرية من المؤمنين والصادقين * واما القاعدون فانهم وان فضلوا العاملين المجاهدين على القانطين الا انهم لم يقوموا بالعمل ولم يبذلوا المرق والدم واكتفوا بالكلام او ساعدوا بالعدة والعتاد ..

هذه حقيقة الحقيقة التى نعيشها ، فبعضهم حديقته جرداء لا زرع فيها ولا ماء وبعضهم حديقته مهمة تحتاج الى عمل متواصل لرعايتها وصيانتها حتى تثمر ثمرا طيبا ، وبعضهم لا يكل من العمل ولا يسأم من الاجتهاد ويحاول ان يجعل حديقته جنة الله فى ارضه فيرعها حق رعايتها ويبذل قصارى جهده ليجعلها فى احسن تقويم حتى يقابل ربه بوجه حسن وقد رضى عن ربه ورضى ربه عنه *

ولقد كثرت فى عالمنا المعاصر الحداثات الحياتية المقفورة
وبدا للناس ان القنوط هو الطريق الامثل وانساقوا وراء
الغواية ووافقوا الهوى فاضاعوا انفسهم دنيا واخرة * * * فقد
كسروا المحراث واتلفوا البذور وحرقوا مابقى لهم من اشجار
واوراق خضراء * *

لقد ظن القانطون كذبا وافترء ان الدنيا بلا جهاد وسعى
افضل كثيرا من المكابدة والمعاناة فى سبيل الحصول على الثمار *
وزعموا ان العاملين الاغبياء الجهلاء ، ولو صدقوا مع انفسهم
لعرفوا انهم هم الاغبياء الجهلاء * *

ان الزمن يجرى وهم نائمون والعمر يسرع وهم لاهون
واليقين آت بعد سنين أو أيام أو لحظات وهم فى غفلتهم
يعمهمون * * فمتى يستيقظ هؤلاء ويشعرون * *

لقد انتقدت موقف المتبطلين والقانطين * * ونسيت نفسى
فما اكثر الكلام واسهله وما اقل العمل واصعبه وما اندر
الاخلاص واعظمه * * *

يا أيتها النفس ارجعى عن غيك واغسلى أوساخك وطهرى
زيك فالعمر قصير والحياة قليلة المتاع ، والمتاع متاع الغرور *
ابدئى بحرث ارضك واعملى لرعايتها واصبرى وثابرى حتى
تشمرك عند ذلك وسيرى الله من منكم أحسن عملا * *

... لماذا يعيش الانسان ؟

برغم أن السؤال يبدو لنا سهلاً ، إلا أنه عند الإجابة عليه قد يصبح الأمر غاية العسر والصعوبة ، فإن الأهداف التي يعيش من أجلها الناس جد مختلفة ، بالإضافة أن أقوال الكثير من الناس تختلف عن أعمالهم ، كما أنه في بعض الأحيان تتطابق الأقوال مع الأفعال إلا أن ذلك لا يرتبط بالأخلاص وهو الأمر الهام الذي تتوج به حياة الانسان ...

إن الهدف الذي يعيش من أجله الانسان قد اختلف عند كثير من الفلاسفة والمفكرين ، فهناك نفر منهم يزعم أن تحقيق السعادة هدف الانسان وغايته ، ويدعى نفر آخر أن اللذة هي : الغاية التي يعيش من أجلها الانسان ، ويمارض البوذيون هذه الآراء ، ويرون أن التخلص من الألم هو الغاية المنشودة ، وأنه متى تخلص الانسان من الألم في هذه الحياة فإنه بذلك يكون قد حقق النجاة ...

ويرى بعض الفلاسفة أن تحقيق الخير هو الغاية التي من أجلها يعيش الانسان ، وأن ذلك إنما يتحقق بالانتصار على الشر في نفسه أولاً ثم في الخارج ، وهذا يتطلب التخلي عن مطالب الحس والتزهد في الشهوات باعتبارها طريق الشر ... ومن الفلاسفة من يرى أن القيام بالواجب المنوط به هو الهدف الرئيسي الذي من أجله يعيش الانسان ، وأن التقصير في الواجب هو سبب شقاء الانسان وتعاسته ...

لقد عرض المفكرون والفلاسفة خلاصة تجاربهم ، وبينوا لنا وجهة نظرهم فيما يتعلق بالتساؤل الذى سقناه ، فمن قال بالسعادة دون أن يبين لنا كنه هذه السعادة ومن زعم ان اللذة هى التى يعيش من اجلها الانسان ، الا انه لم يوضح لنا نوع اللذة المنشودة ، هل اللذة الكمية أم اللذة الكيفية ، أو بمعنى آخر اللذة الحسية ام اللذة العقلية والمعنوية . .

ولقد ارتأى بعض المفكرين ان تحقيق الخير الهدف الاسمى الذى من اجله يعيش الانسان لكنه يبقى هذا الخير غامضا اذا لم يحدد تماما فهل هو خير الجماعة ، او خير الاثنين معا . .

أما الذين يعتقدون أن الواجب . . هو هدف الحياة ، فان هذا الهدف يعد أمرا غير واضح المعالم ، فان اصحاب الافكار الخاطئة يظلمون او يسفكون الدماء فاذا سألتهم لماذا يسفكون الدماء زعموا أنهم انما يقومون بواجبهم . .

ولاشك ان هؤلاء الفلاسفة قد توصلوا الى جزء من الحقيقة فيما يتعلق بالتساؤل المطروح ، لكن ليس هناك من احد قد وصل الى كبد الحقيقة فيما قد عرضوه لنا من تجاربهم خلال التاريخ الانسانى . . وليست هناك اجابة شافية تريح النفس ، فنستطيع وفقها أن نسلك طريقنا فى الحياة ، وفق منهج واضح معلوم . .

ولربما تكمن الصعوبة فى الاجابة عن هذا التساؤل ، فى أن الانسان فى حيرة من أمره، فهناك دوافع وبواعث نفسية. وهناك

حاجات ومطالب بيولوجية ، وهناك طموحات عقلية يتعارض بعضها مع بعض بحيث لا يستطيع أن يحدد الإنسان على وجه اليقين ، أيهما الجدير بالاتباع وإيهما يحقق الهدف الاسمي للحياة . .

لو علم الإنسان الطريقة المثلى التى يتوجب أن يعيش وفقها ، لتوصلت الإنسانية اليسوم الى الرقى الكامل نفسيا واخلاقيا واجتماعيا ، لكنها ستظل فى حيرة دائمة مادامت لاتصل الى حل لهذا التساؤل المطروح . . .

لم يطلب الله تعالى من الإنسان أن يطرح هذا التساؤل الذى لم يستطع ان يحله الى الان ، انما اراد الانسان وحده أن يستخدم تجاربه المبتسرة وعقله العاجز ليلف الخيوط حول نفسه فلا يستطيع أن يتخلص من قيد السؤال او التساؤل المطروح : لماذا يعيش الإنسان ؟ . . . ولو اتجه بقلبه السليم ونفسه المستقيمة وعقله الرشيد الى فطره وخالقه وموجده ، العالم بما خلق ولماذا خلق لوجد الجواب عنده واضحا صادقا . . .

لكن انسان العصر وكل عصر اراد أن لا يتقيد بكلام الله ، وأن يهدى بهدى عقله فأضله ، وفقد الأرض الصلدة التى يمكن ان يقف عليها ، فوقع فى واد سحيق فى الظلمات . . .
ان الاستغناء عن الله امر مستحيل بالنسبة للإنسان فإذا تصور أن ذلك ممكنا ، عاش حياته تعيسا شقيا ثم خلد بعد

انتقاله فى نار الجحيم ، فلا عرف حقيقة وجوده ولا استلذ
بحياته ولا نعم بلذات النعيم ..

ان الاسترسال مع الله امر واجب على كل انسان ،
والاستسلام له تعالى يبعد الانسان عن الشك والريبة والضلال ،
والعمل بما أمر الله يفتح للانسان باب العلم والالهام ،
فلا يعجزه سؤال ولا يحيره جواب ، انما يجد فى قلبه نورا وفى
عقله نورا وفى نفسه نورا يبصره بطريقه ويهديه الى سبيل
الحق والرشاد ...

ان سبب عدم اصابة كبد الحقيقة لدى الفلاسفة والمفكرين ،
هو انهم ينازعون الله فى ملكه ، فيخترون بعقولهم ، وينطلقون
برؤوسهم فى حوائط المعرفة الصلدة ، فلا يحققون لانفسهم
الا الآم والافاجع ...

اما المؤمنون حقا ، فانهم يعرفون طريقهم ، ومن ثم
لا يعجزهم الاجابة عن السؤال المطروح ، فلا اللذة ولا النجاسة
ولا السعادة ولا ارادة الخير ولا الواجب هى الاهداف الرئيسية
التي من اجلها فحسب يعيش الانسان ...

انما الهدف الذى من اجله يعيش الانسان هو عبادة الله
وعبادة الله تتركز فى العمل له ، والنهى عما نهى تعالى ،
وبذلك يتحقق اللذة والسعادة والخير وهذا هو الواجب المنصوص
بالانسان تأديته ...

ورب قائل أن هناك علاقة بين ماذهب اليه الفلاسفة وبين عبادة الله ، وردنا على ذلك أن ليس هناك علاقة البتة بين اللذة او السعادة او ارادة الخير او اتيان الواجب ، مادام الناس غافلين عن حقيقة العبودية . . .

فالاصل الصحيح ينبع من عبادة الله ولا يمكن استبدال هذا الاصل الصحيح بغيره كان ماكان ، فاذا وضعنا اللذة مثلا غاية يعيش من اجلها الانسان فانه سيعمل على عبادة الهوى ويضيع عمره في طلب الشهوات ، واذا جعل السعادة اساسا للحياة اظلمت حياته ووقع في الشقاوة والتعاسة لانه لن يحقق بنفسه أو بعقله هذه السعادة المتوهمة ابدا . . .

والامر كذلك فيما يتعلق بارادة الخير ، اذ يجوز أن يقترب الآثام وهو يظن انه يفعل خيرا نتيجة لتسلسل باطل . . . اذ الاصل الذي يهدف اليه ظنى وليس يقينى . .

ان الاصل الصحيح هو الهدف النهائى الذى يمكن ان يتمسك به الانسان ليوصله الى النجاة أو بر الايمان . أما القول بأنه يمكن النجاة بدون الاستعانة بالله وبحكم الله وامر الله فهذا قول مرفوض ورأى مبتسر غير مقبول . . .

ان ظلمة القلب انما هي ثمرة لانقطاع الصلة بين العبد وربّه وتظل هذه الصلة مقطوعة الا أن يرجع ذلك القلب الى الله ويستسلم معه ويستسلم له تعالى في طاعة تامة فى كل امر ونهى .

فاذا قويت هذه الصلة ، حصل مادي عليه من قبل فهمه .
وأرشده تعالى الى حقيقة العبودية ، واشرق قلبه بمعرفة رسالته
فى حياته الدنيا ، وبشره ربه بما لآعين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر . . .

ان التفلسف ولو أدى الى جزء من الحقيقة ، فان خيوطه
ضعيفة هشه كلما شدت قطعت ، والمتفلسف يريد أن يزن الجبال
الشامخة بميزان الذهب أو يزن الجواهر الفريدة بموازين
القناطير المقنطرة ، وفي كلا الحالين ينتهى الى الخطأ والفشل . .

لقد رسم الله تعالى الطريق وبين لنا أن الوسيلة الوحيدة
لمعرفة دنيانا وآخرتنا بالتمسك بكتابه الكريم وهدى نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم فاذا خرجنا عن القرآن الكريم والسنة
المحمدية فأننا نكون بذلك قد رمينا بأنفسنا فى صحراء قاحلة
لازرع فيها ولا ماء وظلمنا انفسنا وماربك بظلام للعبيد . .

القوالبيون المحدثون

كثرت دعاوى أصحاب القوالب والرسوم ، وزادت جرأتهم بدعوى الحرية والعقلانية والعلمانية ، وأصبحوا مفتونيين بفكرهم الذاتى وارهاساتهم المبتسرة ، وبدأوا يخرجون من جحورهم ليهاجموا كل من يعارضهم فى رأى ، ويظهر تهافتهم فى الفكر وضعف حججهم وأدلتهم . . .

لقد طلع علينا فى هذا العصر أصحاب القوالب بسوفسطائية جديدة تحاول أن تجعل من الحق باطلا ومن الباطل حقا ، وتتخذ من العقلانية مركبا تهاجم به الدين القيم ، والشريعة السمحاء ، دون أن تدرك أن القوالب التى أدخلت نفسها فيها مغلقة ومحددة وعاجزة عن التعرف على حقيقة الديق .

ان العقل وحده لا يهذى الى حقيقة الدين ، انما الدين هاد للعقل واذا لم يرتبط العقل بالايمان ، فانه ينزلق ويقع فى التشابهات رغم انه المحك والمعيار للتمييز بين الصحيح والفساد من الأمور المحسوسة والملموسة وكل ماله طول وعرض وعمق . .

الا أن العقل لا يستطيع ان يخوض فى ساحة المعرفة الربانية دون أن يتسلح بسلاح الايمان ، والا وقع فى الشطط والضلal ، وذلك لاتباعه الظن والوهم . . .

فالعقل اذا أراد أن يتدخل فيما ليس له علم به ولا هدى ،
يصوغ أفكاره تحت قوالب جامدة ، ويحدد معاييرها في تقنيات
محددة ، يحاول بها أن يفرض قانونا جديدا ، وما أنزل الله به
من سلطان ...

لقد حاول الفلاسفة والمفكرون أن يضعوا انفسهم في
قوالب ليثبتوا أو ينفوا حقيقة الدين ، وفي الحالين أخفقوا
احقا كبيرا وكلما صاغ أحد الفلاسفة نظرية في اصل الوجود
أو ماهية المعرفة جاء فيلسوف آخر فأثبت عقمها وتهافت
منطقها ، وضعف حججها واسانيدها ، ثم جاء بنظرية أخرى
لثبت اصل الوجود وذلك عن طريق قوالب اصطنعها لنفسه ،
الا أن نظريته هي الأخرى لاتصمد عن النقد فما يلبث أن يظهر
غيره تهافتها وضعفها وبعدها عن الحقيقة ...

وهكذا يناقض المفكرون بعضهم بعضا ، ويعلن أحدهم أنه
قد اكتشف الحقيقة وهو واهم ، وانه وصل الى الحق وما يتبع
الا الظن او ماتهوى نفسه ...

ويروى لنا تاريخ الفكر الانساني ان المفكرين الذاتيين
برغم استخدامهم عقولهم لم يصل احد منهم الى حقيقة واحدة
فيما يتعلق بأصول الاشياء او بحقائق الوقائع او المبادئ
الأولى ، انما محاولات الفلاسفة والمفكرين ، هي مجرد تخمينات
وفروض لم تثبت صحتها كما لم يستطع أى منهم عن طريق

القوالب العقلانية التي اصطنعوها كمنهج فكري أن يصطنع منها مقبولا يواكب الحقائق الكونية * * * إنما هي عبارة عن تخمينات وتخيلات واضغاث احلام لا تستطيع أن تفيد المتعطر الى المعرفة الا عنتا وتعبا * *

ولما عجز المفكرون المحدثون عن الوصول الى حقيقة واحدة فيما يتعلق بحقائق الدين تركوا انفسهم للهوى وبدأوا في الطعن في حقيقة الدين الذي أنزله الله كهاد للناس ، واعتبروه معطلا لتقدم العقل الانساني والنشاط العلمى * * * وطلعن بعضهم في السنة المحمدية توطئة للطعن في اصل الدين * *

وهذا الأسلوب المعاصر قد خطط له من قبل الماركسيين والملحدين ، حيث فشلوا فشلا ذريعا عن اخراج المؤمن عن ايمانه أو التدليل على امكان دحض حقيقة الدين * *

لقد تركوا الهجوم على الدين لعجزهم عن تقويضه ، لكنهم من ناحية اخرى عمدوا الى وضع قوالب جديدة للممارسات الحياتية كبدائل للدين ، بدعوى أنها أكثر واقعية وملائمة للانسان المعاصر * *

وهذه القوالب التي زعموا أنها تعطى نتائج ايجابية سريعة ، وتقدم ملموسا في مناحى الحياة المختلفة ، هذه القوالب إنما هي نوع من التفكير الفلسفى المبتسر ، الذى يبحث عن علل

ليس للظفر بها من سبيل كما ان هذه القوالب تدفع الانسان الى الاعتراض على الافعال والأعمال ويدفع البسطاء من الناس الى الاستجابة لقوالبهم بلا وعى ، وذلك لاستخدامهم التعبيرات المنمقة والاساليب التى تثير النعرات وتغذى هوى النفس للانفكاك عن هدى الدين . .

لقد اعتقد القوالبيون أن هذا الاسلوب الجديد الذى صيغ بطريقة مرحلية يمكن أن ينجح فى التأثير على الجماهير ، لكن الحقيقة انه اسلوب عقيم لا يحقق أى تقدم يذكر حيث انه كما سبق القول يعتمد على الظن والوهم . .

ان ربط هذه القوالب بالسلوك العملى الحياتى لايمكن أن يؤدى الى أى تقدم ، بل يحدد السلوك فى اطار ظاهرى وشكلى ، دون اعتبار الى الجانب الباطنى الذى يحكم سلوك الانسان . . .

فالانسان ليس مادة قابلة لان توضع فى قوالب لتشكيل بحسب ماتريد ، كما أنه ليس منعدم الارادة ليظهر فى صور ومظاهر دعت اليها عقول البشر . . .

انما الانسان روح وجسم قد اودع الله فيه كل امكانيات التغير ومن حال الى حال والتوبة والعصيان والكفر والايمان ، ولايمكن أن يصب الفكر الانسانى وحياته فى صور واشكال وقوالب جامدة . .

ان فشل هذه التجربة قمين أن يهدى عقول المعكرين الى الحق ، فاذا اغتروا بعد ذلك واستمروا فى كيدهم واتباع اهوائهم فانهم برغم توهمهم بأنهم على طريق الحقيقة الا انهم لن يحققوا نجاحا على الاطلاق . . على النقيض من ذلك تماما فانهم سيردوا خائبين خاسئين . .

ان استقامة التفكير معناها أن لايعاند الانسان حكمة الله البالغة ولايعارض حجه الدامغة ، ولايفترى على الله كذبا ، ولايعبد الله على حرف واحد ، ولايقبل أمورا ، ويرفض أمورا مدعيا انها لا تحقق العدل أو لا تتفق مع الواقع ، وتوصل الانسان الى التوفيق . . لأن هذا الادعاء كاذب فى ظاهره وباطنه . .

اذ الحقيقة أن اصدق الحديث حديث الله ، واعظم ما يحقق للانسان سعادته فى الدنيا والآخرة هو اتباع منهج الله والعمل بما أمرنا به والنهى عما نهانا عنه ، ومهما عمل الانسان بفكره الذاتى ، ووضع نفسه فى قوالب فكرية مثالية أو مادية فلن يحقق الخير فى وجوده ولن يصل الى التوفيق والسداد . .

ان العقل الذى لم يرتبط بالايمان ، بمثابة من يحرث فى البحر فلا يصل الى غايته فضلا عن ضلاله وكذبه . . .

لاحل اذن للفكر المعاصر الا أن يهتدى بأمر الله وشريعته ، وأن يوقن أن عقله عاجز عن فهم حقيقة الدين ، وأن نجاحه انما يتم عن طريق ارتباط العقل بهدى الدين ولن يتأتى ذلك الا بكلمة التوحيد . .

ينبغي للعقل اذن الا يناطح شريعة الله ، والا يعترض على افعاله تعالى ، ولا يطلب لها علة ، اذ قد ثبت له بالأدلة والحجج الواقعة انه تعالى مالك وقادر وحكيم ، فاذا خفى عن انسان الحكمة في فعل الله وأمر الله فان على الانسان ان ينسب العجز الى جهله وقصور عقله ، وعدم ادراكه لحكمة الله الظاهرة أو الباطنة .

لقد عجز موسى عليه السلام بعقله ان يعرف حكمة خرق السفينة وقتل الغلام ، ولولا ان الله أطلعهم على تلك الحكمة في الفساد الظاهر أمامه ، لاعتصرته الحيرة وتملكته الريبة ووقع في الشك .

ذلك لأن جحود العقل نتاج لعدم معرفة العلل فلو ظهرت العلة ما اعترض على الفعل عقله وما جحده . .

لكن كيف يتأتى للعقل الانساني ان يتعرف على الحكمة في الافعال والاعمال وهو عاجز عن معرفة حقيقة نفسه فما باله يعترض على حكمة الله .

اذا ترك العقل لتأويله وتفسيره للأحداث والأفعال فانه يجنح عن الحق ويركب موجة الافتراض يقول مثلاً: لماذا لم ينبج الله تعالى السحرة الذين ، آمنوا بموسى عليه السلام من صلب فرعون ؟ ولماذا لم ينبج الله تعالى قتل الانبياء بغير حق مثل نشر زكريا عليه السلام وقتل يحيى عليه السلام بواسطة زانية ؟

ان العاقل لا ينسى انه عبد عاجز ضعيف وان الله تعالى هو القوى الحكيم ، وأما الجاهل فانه مع اقراره بوجود الخالق الا انه يتشكك في وجود الله فيقول لو كان الله موجودا حقاً لنصر أنبيائه وأوليائه ، ونسى هذا الجاهل ان الله تعالى نجى ابراهيم عليه السلام من النار التي ألقى فيها ، ويونس عليه السلام من بطن الحوت وفرق البحر لموسى ، نسى الجاهل ان ذلك لا يقدر عليه الا الخالق سبحانه وتعالى .

فحكمة الله سبحانه وتعالى في جميع تلك الأفعال خافية على الانسان وعلمها لا يعلمها الا هو ، الا اذا اراد الله تعالى ان يكشف عن بعضها كما كشف لموسى عليه السلام حكمة خرق السفينة وقتل الغلام .

فالانسان العاقل عليه ان يسلم بقدرة الله وحكمة الله الظاهرة والباطنة وألا يناطح بعقله قدر الله وقضاء الله وفعل الله في الكون والخلق والحياة ، والا وقع في الجهل والشرك والضلال .

تهافت مذاهب الأخلاق البشرية

ان كثيرا من الشعوب والأمم ماتزال غارقة حتى آذانها فى
اوهام مذاهب بشرية وتخمينات ما انزل الله بها من سلطان . .
فهناك مذاهب اخلاقية حديثة ومعاصرة تعبد العجل والنار
وتسلك سلوك الجاهل فى غفلة واغترار ، وتجعل من دون الله
الواحد . . آلهة صنعتها نفوسهم المريضة ، وقلوبهم المتعجزة ، فأمنوا
بالطاغوت يذيقهم الشك والفرع والرجفة واليأس والقنوط فى
الدنيا والحسرة فى الآخرة .

لقد جسدت الفيدية الهمم وقطعت جسمه اربا اربا ،
ونشرت أشلاءه على العالمين . . ثم زعمت أن الحياة الخلقية
السليمة انما تكون فى جمع أشلاء الاله . . وتحقيق وحدته
الجسدية !! .

أما البراهماتية فجعلت السلوك الأخلاقى القويم مستحيلا ،
وقصرت السعادة على طبقة الكهنة ، وسدت جميع المنافذ - بما
وضعت من طقوس غامضة وشعائر معقدة - أمام الناس لتتركهم
فى ظلمة الجهل وحياة الخوف والشك . .

وثار السوفسطائيون على الكهنة فى كل العصور ، فتحللوا
من الأخلاق ، وتحرروا من الطقوس الدينية ، ونادوا بعبادة
القوة واللذة والمنفعة الشخصية .

وجاءت اليوجية لتعبد الفناء ، وذلك بسحق العقل ، وفقد

الحواس ، وتوهمت أنها بذلك تحقق السعادة لمعتقديهـا *
وأعلنت البوذية أن الحياة كلها ألم ، وأن العمل جهـد
مضنى ، ومجهـود شاق * .

وافترضت حلا لمشكلة الألم التى اخترعنها ، وذلك بحل
مشاكل الكون * . حتى يتمكن السالك من النجاة " " وبذلك
تحقق له السعادة !!

والزارادشتية عقيدة تلفيقية جمعت كل الأديان السابقة
عليها ، ثم أضافت اليها عدم قتل الحشرات حتى ولو كانت ضارة ،
وزعمت أن من قتل أى نفس ولو كانت لحشرة ضارة ، ظلم
عظيم " " اذ يوقف خلود النفس الذى تؤمن به " "

أما الكونفوشيوسية فتؤمن بالقانون الطبيعى ، وتزعم أنه
وهما متساويان فى كل شىء يستمران الى الأبد !!

ثم تأتى المزدكية لتعلن الفجر والعهر مذهبها لها ، وتطالب
الناس بشيوعية الجنس والمال بزعم أن ذلك السلوك يحقق
السعادة المنشودة * .

أما الكونفوشيوسية فتؤمن بالقانون الطبيعى ، وتزعم أنه
يحقق الخير فى الوجود " " ولذلك يجب أن يكون السلوك موافقا
للطبيعة التى هى على خير نظام " " ولكن أى طبيعة يقصد اليها
كونفوشيوس هل هى الطبيعة الحيوانية ؟ أم الطبيعة
الكونية " " !!

وأما الفراعنة فقد عبدوا ملوكهم ، وقدسوا موتاهم ،
وقدموا القرابين لأسلافهم خوفا وطمعا * * وسخروا حياتهم
فى رشوة الكهنة ليدخلوا الجنة من الابواب الخلفية !! * * *

وظلم أفلاطون بمثالياته ومثله الناس والأخلاق ، وقسم
الناس شيئا وأحزابا ، وجعل منهم السعيد حقا والتعيس حقا * *
فأعطى مفاتيح السعادة الأبدية للفلاسفة ، وسحبها عن العامة من
الناس وأسماهم بالرعاع * * وهبط بهم الى المستوى الحيوانى *

وأتى أرسطو ليرسم للانسانية الطريق الى السعادة ، وشرع
للناس السلوك الخلقى الواجب الاتباع * * وأبطل بذلك الأديان
السماوية !!

ولم يتجاوز الفكر الأخلاقى الحديث النظريات القديمة ،
حتى أنه يمكن القول أن ماهو حديث من هذه المذاهب الأخلاقية
يمكن أن يكون قديما ، وان القديم من المذاهب الأخلاقية يمكن
أن يكون حديثا ، فالفكر الانسانى فى عملية اجترار دائم
للسلوك والتطبيق * *

لقد استعار ديكارت منهج الامام الغزالى وحاول تطبيقه
للولصول الى نظرية أخلاقية مسيحية * * وانتهى الى طريق مسدود
ذلك لأنه توقف عند حدود العقل ، وجعل قمته فى البصيرة * *
وهى الاعتماد على التأمل الصرف دون بذل العمل من أجل تنفيذ
شعائر الله وبذلك أخفق حيث ظن المتفلسفون أنه نجح نجاحا
مبيناً * * *

وأدخلنا « كانط » فى متاهات الواجب والارادة الحرة ،
وغرق فى بحر لجى من العقد والتصورات الغامضة * * وربط
بين الخير والحرية الفردية ربطا عسفيا ، وأوقع نفسه فى
تناقضات كثيرة عندما جعل الانسان ملتزما بالواجب وحرا فى
نفس الوقت * * وبذلك جعل الحياة الأخلاقية سلوكا غامضا
لارحمة فيه ولا هدى * *

وجاء بطرر ليعلم للناس أنه قد اكتشف الطريق الموصل
للسعادة ، وبين أن ذلك انما يتم باتباع وحى الضمير * * ونسى
أن القتل والسرقة تتم أحيانا بوحى الضمير * * وظلم الناس
بعضهم لبعض يتم أيضا بعد استشارة لضمائرهم * * *

ويزعم « بنثام » أن اللذة هدف الانسان رغايته من السلوك
الأخلاقى ، ويدعو الى تحقيق أكبر لذة ممكنة ليتحقق للبشر
سعادتهم .

والوجودية الحديثة بمدارسها المختلفة تعبد الحرية
الانسانية ، وتهدف الى اطلاق العنان لشهواته وأهوائه وغرائزه
لتشيع فى الأرض فسادا وفسادا * * وتقول مثل مقالة
السوفسطائيين من مئات السنين ولكن بصياغة جديدة : أنا الذى
أموت لا غيرى ، فلم لا أختار حياتى كما أحب وأرغب * * دون
أن يفرض على قانون أو دين أو تقاليد * *

ولقد أشاعت الماركسية فوضى أخلاقية ، وقلبت كل القيم
رأسا على عقب ، وأفسدت الحياة النفسية السوية للملايين البشر

عندما زعمت أن الدين أفيون الشعوب ، وأن الايمان بالله تمثيلية وضعها البشر من عند أنفسهم وأعلنوا في تبجح :
لا اله . . . والكون مادة .

ولقد حرف بعض كهنة المسيحية كتب الله ، وفسروا كلماته بما يتمشى مع أهوائهم وقدموا للناس ديناً جديداً صاغوه بأقلامهم ، ودسوا فيه ما هو أسطوري وخرافي وخيالي . . فكفر الناس بدينهم ، وتمرد المسيحيون الأوروبيون على انجيلهم المحرف . . ومضوا اليوم بلا دين ولا أخلاق ولا قيم عليا . . الا ما وافقت عليه عقولهم . . وماتهواه نفوسهم . . فانتشرت بذلك الاباحية والفسق ، وأصبح الانحلال الأخلاقي السمة المميزة لهذا العصر الخرب . .

فهل لنا بعد ذلك كله أن نزعم قدرة الانسان وحده على معرفة السلوك السليم لمكارم الأخلاق . . ودون الاستعانة بطريق الحق تعالى . . هل يمكن أن يشرع الانسان لنفسه نظرية أخلاقية تصلح في السلوك والتطبيق وتحقق له خيره وسعادته . . بالتأكيد لا فقد أجملنا أكثر المذاهب والنظريات الأخلاقية في هذه العجالة . . وظهر عقمها وتهافتها وفسادها . . فإلى أين يجب أن نتوجه إذن ؟ . . .

لم يبق أمامنا الا الاسلام دين التوحيد وعقيدة الحق وشريعة الله الخاتمة لتكون لنا المعين والمرشد والسراج المنير في ظلمات الليل الدامسة . . نطبق قرآنه ، ونعمل بمنهجه ونسلك طريقه ، ونتخلق بخلق الله . . فهو أملنا في النجاة في هذا العصر الخرب . .

الباحثون فى السراب

الكثير من الناس يذهبون فى طموحاتهم الدنيوية بعيدا
حتى انهم يفقدون الأرض التى يقفون عليها فيطيطرون بأجنحة
فى الفضاء حتى اذا ما أنهكهم التعب لم يجدوا العش الهادئ
الذى يسكنون اليه .. هؤلاء هم الباحثون فى السراب .

تفوص الى الأعماق ، أو تطير فوق السحاب ، أو تركب
سفينة الفضاء ، لتطل عن كثر الى الكواكب السيارة " " وتدور
هنا وتجرى هناك تحسب أنك تستطيع أن تكون أكثر مما انت
فيه واكبر مما أنت عليه ..

لكنك أيها الانسان تضرب برأسك حائط الحياة الصلد ..
فلا تقدر ان تتعدى الحدود أو تجاوز وجودك المحدود ...
ومهما تخيلت من اشباح أو توهمت من خيالات فأنت انت
ولن يزيدك ذلك الا عنتا وارهاقا ..

ومهما فتشت فى القراطيس القديمة وأمعنت النظر فى
حسابات الكواكب والافلاك ، وجربت المجربات عن فوائدها
مزعومة لمعرفة الطالع والأخبار عن الحظوظ والبخوت " " مهما
فتشت ونقبت ولجأت والتجأت الى البشر ومجرياتهم ، فلن ترجع
ياصاحبى الا بخفى حنين قد أسهدك الأرق وأتعبك البحث
وأعيتك الحيل دون ان تصل الى ماتصبو اليه او ان يتحقق
مرادك ..

فقواك ايها الانسان محدودة وامكانياتك بسيطة وادواتك
المستخدمة قاصرة وقدراتك ضعيفة متهاففة " " وتشعر في
النهاية انك صغير صغير جدا . .

سترى نفسك ان اردت التمرد مكبل بأغلال من حديد ،
وان ظننت انك تستطيع أن تمزق الأغلال أو تفض حجب
الاسرار ، فأنت معتوه أو مجنون . . فليس هناك أصعب على
النفوس من أن تكتشف أنها لاشيء وأن ماخيل اليها من مزاعم
هي اضعاف احلام . . .

واذا كان التحدى جبلة في التركيب الانساني ، فانه من
الضرورى أن نعلم أن التحدى غالبا مايقود الى النكسة بعد
النكسة ثم اخيرا الى التسليم اجبارا او اختيارا . . طوعا او
كراهية . .

ومايزال الانسان يولد كل يوم فى صور واشكال ونماذج
تحاكى سابقتها فى الاعتراض والتحدى وتنتهى نفس النهاية
بلا تقدم فى المعارف والاسرار . . ثم أن تلك المواليد الجديدة
لا تتعلم من التجارب والافكار . .

استخدم الانسان السحر على يبلغ المنى ، ويهتك ستر
الحجاب ، ويفض الاسرار ، ويعرف من امر عالمه والعوالم
الأخرى اكبر مقدار . . وضع من عمره قرون طويلة فى هذا
السبيل دون أن يتقدم خطوة واحدة فى الوصول الى حقائق

الحياة وعندما فشل حرق قراطيس الاسحار ، ومضى يبحث عن شيء جديد مستخدماً التجارب والافكار . .

وحاول في أواخر القرن الماضي أن يستكشف الجديد عن عالمه والعوالم الأخرى واستخدم وسائلهم مميزات معينة وانهالت عليه معلومات ناقصة ومشوهة على مائدة الحس والوجدان . حسبها أول الأمر فتحا جديداً في علم الاسرار . . لكنه مالبت أن تفوق عندما اكتشف ان مايتعرف عليه من معلومات جديدة عن العوالم الأخرى تزيد الأمر تعقيداً، وغموضاً وتضعه في متاهة الجهل وتضر بأعصابه وتوقعه فريسة للأمراض . . وقد انتهى بعض المسرفين في الاهتمام بالعالم اللطيف او كما يسمونه العالم الاثري الى الانتحار في ظروف غامضة وبعضهم وجد مقتولاً بطرق مروعة وبأسباب خفية لم يكشف النقاب عنها .

لقد زعم هؤلاء ان مايتصلون به هو عالم الروح وعالم الروح من زعمهم براء وانما الذي يحاولون الاتصال به هو عالم الجن وليس هؤلاء أول من حاول ولا آخر من سيحاول فقد ورد ذلك في قول عزل مز من قائل :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
فزادوهم رهقاً »

(الجن : ٦)

لكن قضية الذين يحاولون الاتصال بعالم الجن ، لاتقف

عند أحد الزعم بأنه عالم الزوح بل تتعدى ذلك الى تصور الاستفادة من الأرواح وتسخيرها لخدمة البشر ، والعجيب انهم يستخدمون طرقا ووسائل مادية كالأجهزة واللات التصوير التي تصور تحت الاشعة الحمراء وقد نسي هؤلاء ان ما هو غير مادي لا يمكن الكشف عنه ماديا . . لكن ماذا نقول في عمى الابصار والقلوب والعقول !!

وما يزال الانسان يستخدم المجذاف المكسور والبحر عال والموج متلاطم ، والسماء ملبدة بالغيوم ، وقاريه مثقوب فهل يكتب له النجاة !! ان ذلك يحتاج الى التلطف الالهي مع ذلك العاصي والرحمات الربانية مع ذلك الالهي في بحر الظلمات .

ويأتى بعد ذلك أصحاب الالحاد الظاهر الذين يغلثون في تبجح أن الهمم الذي يؤمنوا به هو العقل ولا يعترفون الا باللموس والمحسوس وماله طول وعرض وعمق ، أما خلاف ذلك فلا بد أن يجرب معمليا أو يثبت تجريبيا ، وماتبرهن التجربة على صدقه فهو صادق ، وماتبرهن على كذبه فهو كاذب ، وليس هناك في الوجود شيء فوق العقل البشرى واداة العقل التجربة او اليقين العلمي لذلك فالعقل يصدق دائما . . .

لكن العقل الانساني رغم ما أوادعه الله فيه من قدرات ومواهب وقوى على أن يميز بين الصدق والكذب . غير مؤهل لادراك حقائق الوقائع ، فاذا كان يستطيع ادراك المصباح الكهربى بايصال الدائرة الكهربائية السالبة بالموجبة ، فانه

لايستطيع مع ذلك معرفة حقيقة الكهرباء ، فهو يدرك وقائع
الاضاءة الكهربائية ، لكنه لا يدرك كنه الكهرباء . . فاذا كان
الامر كذلك بالنسبة للكهرباء وغيرها من الامور المشاهدة فما
بالك بالروح . . هل تنكر لأن انسان العصر لا يستطيع ادراكها
تجريبيا . . ولماذا لا تنكر الكهرباء رغم انه لا يعرف كنهها
تجريبيا . .

الجسم يتحرك ويأكل ويفكر ويتكلم فاذا انتقل الانسان
توقف كل شيء . . فهل كان الانسان مشحونا بطاقة كما يزعم
بعض التجريبيين وعندما فسدت البطاريات انتقل الانسان . . .
هل تحرك ضمير الانسان وطار به . . هل يحب الانسان ويكره
ويغضب ويبكى ويفرح هل يؤمن ويكفر ويصدق ويكذب
بشحنة كهربائية كما يزعم هؤلاء . .

لو أقر التجريبيون وجود الروح واستسلموا لعجزهم عن
معرفة كنهها لكان خيرا لهم . . اما الادعاء المفرط في الضلال
باستبعاد وجود الروح في الانسان خوفا من الاقرار بوجود خالق
الروح وهو الله تعالى . . فهو قصور في التفكير وضعف في
نورانية القلب وعمى في الابصار . .

ومهما بلغ الملحدون من نجاحهم المادى فانهم يتأخرون
وينحطون ماداموا لا يقرنون هذا النجاح بالايمان ذلك ان

الايمان بالله هو السبيل الوحيد لهداية العقل ومادام العقل لم يهتد الى فطره فكيف له أن يزعم النجاح والتوفيق والسداد •

أما الباحثون فى السراب فلن يحصدوا الا الشك والريبة والخسران ، فلا السحر يوصل الانسان للحقيقة او حتى جزءا منها ، ولا الجن ممكن ان يفيد الانسان او يقربه من الحقائق الكبرى ولا التجارب والوسائل العلمية والمعملية تقود الى معرفة فاطر السموات والارض ••

الذى يمكن وحده ان يحل مشكلة الانسان فى هذا العصر ، وفى كل عصر هو ان يدخل حظيرة الايمان وبلا ايمان فلا نجاح ولا أمان ، والا يبقى الانسان يبحث فى السراب وساء ذلك من سبيل •

الاعتراض على الفطرة فانون واوهام

ترفض العقيدة الاسلامية كل اشكال العسف والارهاق
والعنت ، فحقائق الدين واضحة للعيان ، ميسرة لكل انسان ،
مقبولة للعقل والجنان ، تواكب الفطر السليمة وتعالج ادواء
النفس واسقامها بلا حاجة الى طلب الطبيب المعالج متى التجأت
النفس الى الله . . .

وقواعد الدين لاتنطوى على طقوس معقدة وممارسات
صعبة ومصطلحات غامضة كما نجد ذلك واضحا فى كثير من
العقائد الأخرى ، انما قواعد الدين الاسلامى تخاطب الناس
جميعا كبيرهم وصغيرهم ابيضهم واسودهم فقيرهم وغنيهم
أميهم وعالمهم . . .

وليس الايمان بالله ثمرة لكثرة التحصيل العلمى انما المهم
الاخلاص فى العمل لله ، فكم من متكلم فى التوحيد غشى قلبه
حجاب الدنيا واصبح جل همه الجدل والمناظرة لدحض حجج
الخصوم والتفوق على غيره فى المجادلة دون ان تكون غايته
الدفاع عن الدين وانما الدفاع عن هواه وعمه اغواه . .

ورب مؤمن صادق العمل قليل العلم ، خالص العزم والنية
يهتدى الى حقيقة العبودية ويتعرف على مقام الربوبية ،
فيأتيه رزقه من حيث لا يدرى ولا يحتسب وينعم عليه بالقول
الثابت والأمن والسكينة التى يفتقر اليها المتكلم الاديب والمتفقه
. . اللبيب .

ان اسباب الجنوح عن حقيقة الدين ، تتركز فى وجود تناقضات وتضادات وتداخلات بين مطالب النفس وحقيقة العبودية ، فتتراكم على النفس الأمنى الدنيوية ، ويغلو الانسان متوهما أنه ظفر بحقائق يقينية ، وانه وصل بعقله الى منتهى غاية الواصلين . . . وعندها يغفل عن ذكر ربه ويتغافل عن اداء التكاليف المقررة والفرائض الشرعية . . . ويطلب لنفسه المقام الاسمى غروراً واغتراراً ، وينسى الواجبات المنوطة به . . . فيقع فى التخيبط ويسقط فى الهوى ويتملكه الكرب الشديد ويحاط به الفزع من كل جانب ويداهمه الغم والهم حتى تصبح حياته قنوطاً ويأساً . .

ان الاعتراض على حكمة الله البالغة وحججه الدامغة هى من الظنون والالوهام التى تبعد الانسان مهما انكب على الدرس والتحصيل عن الايمان . . . كما أن دعاوى المتفقهين الذين يحرمون حلالاً ويجمدون كل رأى فيه منفعلة للمسلمين بدعوى انه لم يكن مأخوذاً به عند الائمة السابقين برغم ان هذا الرأى لايتعارض مع اصل من اصول الدين . . .

هؤلاء المتجمدون لايسعدهم أن يروا غيرهم من العلماء المجتهدين يطبقون تعاليم الدين فى بساطة ويسر ، ويروا فى كل أمر لايعرفونه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . . . فيقفون بالمرصاد لكل داعية اسلامى مخلص يدفعونه الى السكوت والا انقضوا عليه بأظفارهم ينهشون لحمه ويلوكونها بأنيابهم . . .

ان هؤلاء يعطلون تطبيقات الشريعة السمحاء ويعاونون الشباب الغر على الانفكاك من حولها . . ويعقدون اليسير ويصعبون السهل حتى تخلو الساحة الا منهم . . وهذا هو الظلم الشديد . .

واذا ما حاولت أن تتعرف منهم عن حقيقة الدين ، سخرؤا منك ، لأنك لست فى مستواهم فى الجدل والمناظرة . وأدخلوك الى دهاليز معتمة لاتستطيع أن تخرج منها سالما ، فهم يغمضون الحقائق ويتقولون بارهاصات لاتمت الى الايمان بشيء . . .

والمجتمعات الاسلامية قد منيت بهذه الفئات التى لاهم لها الا الجلوس على ابواب المؤسسات الثقافية لتفلق ابوابها أمام كل عالم وطالب علم لتحرم الناس من التفقه فى امور دينهم ومعرفة الحلال والحرام فى شرعتهم السمحاء . . .

ولقد يطالب اصحاب البصائر النافذة بتطبيق احكام الشرع الحنيف ، اذ أنه قد آن للأمة أن تفيق من كبوتها وأن تتقدم بخطى وثيدة نحو التقدم والازدهار تحت راية الشرع الحنيف . .

لكن المستغربين وقد جهلوا باحكام الدين ، وفضلوا قواعد المنهج العلمانى الميسرة التطبيق والتى تدارسوها وتفهموها خصائصها واصولها . . . يرفضون هذه الدعوة عن وعى او غير وعى ، ويظنون لجهلهم بالدين ان هذه الدعوة انما رجوع الى البداوة وعدم مسايرة للتقدم الحضارى الحديث . . ونسوا

أن التمسك بالتشريع الاسلامى طيلة قرون عديدة هو الذى كان سببا مباشرا للتقدم الحضارى فى عصور الازهار الاسلامية .. وأن أوروبا مدينة الى الآن بحضاراتها للعرب الفاتحين الذين قدموا لها مفاتيح الحضارة ومآدب التقدم التى تأكل منها حتى الآن ..

ونحن لانصور أن يتحقق للمسلمين التقدم والازدهار وقد اعتلى كراسى مؤسساتهم الثقافية والعلمية جاهل بحقيقة دينه ومدع انه الوحيد العارف بحقائقه .. ومن هنا فانه من الصعوبة بمكان أن تطو الامة الاسلامية خطوات عظيمة فى طريق المنعة والتقدم اذا مهدنا السبيل امام المخلصين من علمائها ليدلوا كل بدلوا بحسب علمه ومعرفته دون ان يكون هناك من عوائق تمنع اثار الحق وازهاق الباطل وبذلك تفيق الامة وتهدى سواء اسبيل ...

أرض الحقيقة

الحلم والوهم فى هذه الدنيا فحسب ، أما فى أرض
الحقيقة فان الحقائق وحدها تتكلم وهناك يجد
المؤمن ما وعد الله فى النعيم المقيم . .

كلما تكالب الانسان على الحياة ، يعجبه دخان كثيف
فلا يرى شيئاً من الحقائق ولا يكتشف طريقه ، ويعتقد مع
الحجب والكثافة أن عالمه الحقيقى هو الذى يحبه ويتذوقه
ويشمه ويراه بعينى رأسه . . فهو يسعى جليدا لاشباع
متطلباته ، وارضاء نهم غرائزه ، ولا يفكر أبداً أبداً من أنفه
فيظل محبوساً فى ظلمات جهالته ولو أنه يظن أن مطلبه هو
غين الحقيقة وما يستهدفه من لذات هو الجدير اهتمامه
فحسب . . وأما خلاف ذلك فهو مجرد أوهام وخيالات أباطيل .

ويضرب الجاهل الأمثلة الحسية ، والامثال الشعبية التى
تكذب كثيراً وتصدق قليلاً فيقول مثلاً « أطعم الفم ستحى
العين » « ومن ليس معه قرش لايساوى قرشاً » « والانس لن
يعيش الا مرة واحدة » « والفلوس تربي النفوس » ، وغير ذلك
من الامثال الشعبية التى تضر بالانسان اكثر مما تفيده حياء
وعملها وواقعيها . . .

وهذه الافكار السطحية غالباً ماتتحول الى سلوك لدى
الجاهلين بحقيقة رسالاتهم فى هذه الدنيا الأمر الذى يدفعهم
الى تحقيقها بشتى الوسائل وبجميع الطرق ، فاذا ما صادفوا

عوائق وموانع وسدود تحول دون تنفيذ أغراضهم وتطبيق افكارهم حاولوا الالتجاء الى اساليب غير شرعية أو حيل غير اخلاقية لتحقيق مآربهم * * فاذا فشلوا فى ذلك ايضا تملكهم اليأس والقنوط * * وحاصرتهم الامراض فيفقدوا الصحة والتفكير السليم جميعا ، ويعيشون فى الهم والغم والكرب العظيم حتى يسرع اليهم العطب والتلف ويعجل بهم الموت وقد ضيعوا عمرهم سدى ولم يكتشفوا فى الوقت المناسب الهدف من الحياة ورسالتهم فى هذه الدنيا * * *

والعمر قصير ، والرحلة الدنيوية حلم يمر سريعا وكأنها نقطة غير مرئية فى عمر الزمن ، ولو تفكر الانسان بعمق لعلم أن حياته التى يعيشها لاتعد شيئا بالنسبة لحياته الباقية ، وأنها حلم بالمقارنة لما بعد الموت * * *

لكن الغفلة والنسيان من جلات بنى آدم فهو يعرف الحقيقة ، ويشاهد كل يوم من فضل دنياه على آخرته ثم أتاه الموت بغتة فترك كل شىء ورحل * *

وكأن موت اقربائنا واحبائنا وارحامنا ليس مما يعقله الإنسان ، وبرغم ان حياتهم كانت واقعا محسوسا ومشاهدا ، الا اننا ننسى ونتغافل ذلك تماما ، بل ونفعل مايبعدنا عن الحقيقة وما يقربنا من الوهم ، وكأننا لانتعلم من الآخرين الدرس الهام فى الحياة وهى أن الدنيا مزرعة الأخرة ، واننا نغايرون جسرا الى الشاطئ الآخر * * *

ينسى الانسان ويففل عن الحقيقة وكأنه فى يقظته ومنامه
فى حلم دائم لا يستيقظ منه أبدا . . . ويمضى وكأن كل شىء
فى دنياه هى احلام اليقظة واحلام المنام . . .

لكن لو تفحص الانسان حياته ، ودقق فى اسباب وجوده ،
وتفكر فى الهدف الذى يقوده الى النعيم حقاً ، لغير برامجه ،
وبدل من نفسه ، وسلك سلوك الأخيار ، وابتعد عن تفكير
الاشرار . .

لو تأمل الانسان فى الحياة والموت ، والدنيا والآخرة ،
لاستطاع أن يتعلم الكثير وأن يتصرف تصرف العقلاء فلا يطغى
ولا يتكبر ولا يفتر ولا يعجب بنفسه ولا يطمع ولا يحسد
ولا يحقد . . . وبذلك يصبح انسانا طيبا صادقا تقيا نقياً
ورعاً . . .

لكن الدخان يحجبه عن معرفة حقيقة نفسه وحقيقة مصيره ،
وهذا الحجاب يعطله عن ممارسة الحياة الفاضلة ، ويبعده عن
اكتشاف عيوبه وآفاته ونقائصه . . .

لو علم الانسان أن دنياه كلها حلم زائل ، فاذا ما حضره
الموت استيقظ ليعيش حياة جديدة ليست محدودة وانما خالدة
سواء فى النعيم المقيم او الشقاء المقيم . .

لو عرف الانسان ذلك تماماً ، ماظلم أحدا من العباد ،
ولا اشرك بالله الواحد القهار ، ولأعتقد فى الاسلام ديننا

وبمحمد نبيا ورسولا ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأدى
حقوق الله كاملة غير منقوصة . . .

والمعرفة هنا تكون فكرا وسلوكا وحياة عملية وليست
كلمات واقوال يتمم بها للاستهلاك المحلى دون أن يعمل بها فى
حياته ، فالمعرفة بالله دليل على الصدق والاخلاص والعمل
الصالح ، وأما الالفاظ والاقوال فانها ربما تصدر عن المنافق
والمرائى كمظهر وشكل دون ان يكون لها معنى او مضمون
لذلك فان الله تعالى يبغض المنافقين . . ويكره الذين يخادعون
الله وهم فى الواقع يخادعون انفسهم . .

لا بد لصاحب المعرفة اذن من التيقن أن حياته الدنيوية
حلم لا يلبث أن ينتهى ، وانه فى رحلة قصيرة وشيكة الانتهاء ،
فيعد نفسه اعدادا طيبا للرحلة الباقية على أرض الحقيقة . . .
وهى الحياة الخالدة الدائمة . . .

ومثل صاحب المعرفة فى دار الدنيا ، كمثل المسافر فانه
يعد عدته وعتاده من اجل الوصول الى المدينة التى سيقوم فيها
اقامة دائمة ، فلو لم يهتم بزاده وعدته وعتاده وبدأ فى رحلته
الطويلة بدون اعداد فكيف يستطيع أن يصبر على قلة الزاد
وهل يستطيع أن يصل الى هدفه بدون عدة وعتاد ؟! . . انه
سيهلك حتما فى صحراء الحياة ويظلم نفسه وربما ينتهى به
الامر الى الهلاك المبين . .

ان المسافر الى ارض الحقيقة عليه أن يتزود بالزاد والعدة

والعتاد ، ولن يصل اليها الا بالتزود بالتقوى ، وقد أصبح عدته
الايمان وعتاده الاحسان ... فاذا فقد التقوى والايمان
والاحسان فقد كل شيء فكيف يستطيع ان يقيم فى ارض
الحقيقة ؟ ..

فالدنيا شبح لأرض الحقيقة ، وما يراه فيها ليس الحقيقة
وانما على مثالها فالفواكه والملبوسات والمشروبات واللذائذ
كلها صور دانية محسوسة وليست حقائق رفيعة معقولة مما
يوجد بارض الحقيقة ...

لو صبر الانسان على شهوات الدنيا ولذاتها الفانية ،
لأعطى فى ارض الحقيقة ثمرات عظيمة كمكافأة له على صبره
وتزهدده فى الشهوات الدنيوية .. ولو قنع الانسان من الدنيا
بما يرزقه الله فيها من حلال لكان ذلك أفضل له اذ يحسن الله
عليه فى ارض الحقيقة بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ..

لو صدق الانسان مع ربه وتوكل عليه وفوض الامر اليه
لكان ذلك خيرا له ، فان الله يرزقه من حيث لا يدرى ولا يحتسب
بما يسعده فى الدنيا والاخرة ..

لكن كثيرا من الناس نظرا للغواية الشيطانية والكشافة
النفسية ، وحجب الدخان التى لا يعمل على ازالتها من حوله ليرى
الرؤيا الصحيحة تعمل جميعا على ابعاده عن حقيقة ارض
الحقيقة ... فيرى الدنيا بديلا عنها ويظن أن ما يلتذ

به فى الدنيا من شهوات زائفة هى حقيقة ، ومايتذوقه من نعم حسية هى منتهى غاية الواصلين . . . فيفقد بذلك الأرض الصلدة التى يمكن أن يمشى عليها فيغوص فى الطين دون أن يمشى فى طريق الحقيقة ليصل الى أرض الحقيقة . .

فالإنسان يختلط عليه الأمر اذا اراد أن يستخدم الإدراك الحسى للوصول الى سعادته ، كما انه يفقد ايضا الطريق المستقيم اذا حاول ان يجعل التفكير العقلى وسيلة للوصول الى أرض الحقيقة . . .

ذلك أن العقل ، رغم انه موهبة عظيمة اودعها الله فى الانسان ودرة فريدة حياه الله بها ، الا أن الانسان مع وجود هذا العقل يضل كثيرا ويقع فى المتشابهات ويقع فى التخليط . ويضيع منه معالم الطريق الى أرض الحقيقة . .

فالعقل لا يهذى الى أرض الحقيقة مالم يكن مقترنا به الايمان فاذا تشابه على العقل الأمر هداه نور الايمان ، وادا استغلق على العقل أمر من الأمور استسلم لهدى الدين وهو نور الايمان ، فالدين هاد للعقل وليس العقل هاديا للدين ، فلو كان العقل كذلك لوصل المتفلسفة واصحاب العقول الى معرفة الله ومن ثم نعموا فى أرض الحقيقة بالسعادة التامة . . .

فالذين اعتقدوا أن حواسهم ستوصلهم الى السعادة فقدوا السعادة والأمن والطمأنينة ، والذين اصرروا على أن عقولهم ستهديهم الى معرفة الحق ظلموا أنفسهم ووقعوا فى الشك

والتدليس والاعتراض ثم يأسوا فسقطوا فى براثن الشرك والضلال . . .

ان أرض الحقيقة تفتح ذراعيها لمن يؤمن بالله فحسب ،
أما القانطون من رحمة الله فقد حجبوا عن أرض الحقيقة
وتمرغوا فى اوحال الوهم والخيال واصبحت دنياهم قفرا
فلايعرفون الى أين يجب أن يسيروا وبذلك فقدوا المعين
والهادى . . .

واذا ظل الانسان فى غفلته دون أن يرجع عن غيه ويتعرف
على مولاه ويوقن انه هو القوى وانه الضعيف ، واذ لم يعرف ان
الله هو المستغن واذ هو العبد المحتاج لعطفه ورحمته . .

اذا لم يعرف ذلك الانسان ، واذ أصر على عناده وكفره
فكيف يطمع فى عطف الله ورحمته . . . وكيف يطالب اذ توفاه
الموت بالمغفرة وأن يسكن أرض الحقيقة . . .

فهنيئا بالصادقين والصابرين والخاشعين لله الذين صدقوا
ماعاهدوا الله عليه ، وعيروا خير الدنيا دون أن تكون جل همهم ،
ومشوا الى أرض الحقيقة واثقين من نعم الله ومنن الله ورحمة
الله وانه الى النعيم ذاهبون وفى الجنة مقيمون وبقرب الله
جالسون راضون مرضيون . . .

هل هناك افتقار الى الفلاسفة

يصرح بعض المفكرين هذه الأيام بأن هناك افتقار الى الفلاسفة فى عالمنا العربى والاسلامى المعاصر . . . ويبينون لنا أن اسباب ذلك الجمود فى التفلسف راجع الى ضحالة الثقافة وعدم وجود الأصالة الفكرية .

والحق أن هناك اسبابا أخرى لم يذكرها هؤلاء المفكرون رغم وجاهتها وقربها من واقعنا الحياتى . . .

ومن تلكم الاسباب وجود المجتمعات العربية فى فرقة اجتماعية وسياسية واقتصادية . . وهذا بدوره يؤثر فى انتقال الفكر من مجتمع عربى الى مجتمع آخر ومن ثم من مجتمع اسلامى الى مجتمع اسلامى . . . فخطوط الاتصال مازالت مقطوعة وان وجدت بين مجتمعين عربيين او أكثر فان ذلك يتم الى حين ولا يستمر كثيرا . .

والفكر يحتاج الى وسط مناسب ينتقل فيه فاذا انعدم هذا الوسط كان الانتقال مستحيلا بين المجتمعات الاسلامية بعضها وبعض . . .

وفى الفكر الغربى الحديث نجد أن النظريات الجديدة تنتقل رغم وجود عائق اللغة بين المجتمعات الأوروبية والأمريكية بسرعة مذهلة وما أن تظهر نظرية جديدة فى احدى البلدان الاوربية حتى نجد صداها فى امريكا فضلا عن الدول الغربية

الأخرى . . وتنتشر النظريات الجديدة وتبسط بطريقة يمكن
لعامة الناس أن يتفهموها ويتناقضوها بينهم دون أدنى صعوبة .

ولاشك أن هذه النظريات تمثل تيارات جديدة كردود فعل
للأفكار التي لا يقبلها أو التي يرفضها الكثيرون . . فهي بمثابة
تعبير عن وجهة نظر جديدة يصقلها بالحجج والاسانيد المفكر
لتعبر عن مضامين ومطالب الحياة في فترة من فترات العصر . .

ويمكن أن نمثل لذلك بالبراجماتية الأمريكية والبنشاميته
الانجليزية والتيار الوجودي الفرنسي وفلسفة القوة الألمانية
وغيرها كثير في الفلسفات المعاصرة

فموقف الفلاسفة الغربيين في نظرتهم وأرائهم الجديدة
يعبر عن هضم لثقافة العصر ثم تقييم لهذه الثقافة من وجهة
نظر ذاتية بعضها نظرة اعتراض أو شك . . ثم موقف اعتراض
أو شك في الواقع أو السلوك أو الحياة يتبلور في هضم للثقافات
الحديثة أو المعاصرة ثم محاولة لإقامة نظرية جديدة تخالف أو
تناقض النظريات السائدة أو القديمة . .

هو تغير اذن نتيجة للشعور بالملل من القديم ومحاولة
لاظهار عقمه وتهافته ثم بناء جديد كمحاولة لإثبات صدقه
وواقعته . .

لكن هذه النظريات ما تلبث أن تتهاوى إذا ما يمضي وقت
حتى تأتي نظرية جديدة تناقض النظرية القديمة وتثبت ضعفها

وتبرهن على كذبها أو بعدها عن الواقع المشاهد أو الملموس ..
وهذه التيارات الفكرية تزداد احيانا وتقل احيانا بحسب
وجود متناقضات تخلق مشارب ونظريات جديدة للحياة ..

واذا ما تعمق الانسان في هذه الفلسفات نجدها تحمل
جذورا قديمة ، الا انها تنبت اشجارا وأوراقا جديدة .. فالعقل
الانسانى لا يستطيع أن يفرغ فكرا من العدم ولا يأتى بالمعجزات
وان كان يستحدث شيئا فانما يصيغه فحسب بصياغة معاصرة
بعيـث يبدو وكأنه ابداع وخلق جديد ...

فالفلسفات الحسية والمادية والطبيعية ونظريات اللذة
والمنفعة والجنس والوجودية الحديثة فى صورها المختلفة، كل هذه
النظريات لها جذور ممتدة فى القدم ، ولقد أراد الفكر الانسانى
فى العصور المتطاولة أن يتخذ بعضها منهجا له وسلوكا فى الحياة
وكلما تشبع بها الناس وملوها طلعت علينا نظرة جديدة
تناقضها لتحل محل النظرة القديمة التى عملوا على هدمها ..

فأفلاطون قديما نقد نظريات الطبيعيين الاوائل والايلىين
جميعا وأقام صرح مذهبه على عالم المثال ثم جاء ارسطو من بعده
محاولا أن يجعل المثال ليس فى العالم المعقول كما ذهب افلاطون
وانما فى العالم المحسوس الذى نعيشه ...

وفى مقابل نظريات اللذة، تقف النظريات المثالية فى
مواجهتها لتعكس فكرا بعيدا عن الحس والجسمية .. ثم تأتى
نظريات أخرى لتتوسط بين النظرتين المثالية والحسية ...

وهكذا نجد الانسانية تلهث وراء الاشباكات المادية تارة
والاشباكات الروحية تارة اخرى فاذا ما عجز الفكر الانساني
أن يطفئ ظمأ الطالبين توسط بين المادية والروحية فيأخذ من
هذه بقدر ومن تلك بقدر * * لكنه ما يلبث ان يضيق ذرعاً
فيتمرد على كل شيء ويفلسف واقعته بحسب ميوله واهـوانه
محاولاً اشباع نهمه بأي طريق * *

يرغب الفكر الانساني دوماً في التغيير ولا يتوقف ابداً عن
التجديد ولو كان هذا التجديد ارتكاساً وانتكاساً وردة عقلية *

ولهذا السبب لا يمكن القول أن الفيلسوف المعاصر قد
استفاد من تجارب الاقدمين، او انه وصل في فلسفته الاخلاقية أو
بحثه في الوجود أو المعرفة الى منتهى غاية الواصلين * *

لكنه مع ذلك لا يمكن انكار أهمية ظاهرة التفلسف، حيث انه
نظرة متعمقة تتمتع بشيء كثير من المعقولية، بالإضافة الى أن
الفيلسوف يعاون على تعميق مفاهيم الانسان العادي الغامضة
بحيث تبدو في صورة واضحة للعيان بدلاً من أن تكون احاسيسه
وافكاره غامضة لاتفهم على الاطلاق * *

ولاشك ان الفكرة الجيدة تأخذ طريقها الى قلوب الناس
قبل عقولهم فاذا ما هضمت اصبحت سلوكاً واخلاقاً وقيماً * * *
والعكس بالعكس فان الفكرة المنحرفة ممكن أن يحاكيها الجهلة
وينقاد اليها اصحاب النفوس الضعيفة ليدفعوا بها كل نقد او
نصح يمكن أن يوجه اليهم * * ومن هنا تبدو اخطار التفلسف

واهميته بين الخاص والعام فما من سلوك سوى او شاذ الى وكان وراءه فلسفة ما وما من تغير اجتماعي أو سياسى للأفضل أو للأسوأ الا وقد حركته فكرة طيبة أو رديئة . .

واذا كان الفكر الفلسفى لا يؤثر تأثيرا سريعا ومباشرا فى الافراد والمجتمعات الا انه لا يمكن انكار آثاره العميقة على المدى البعيد . فالفكرة ربما تهمل سنوات او قرون ثم ماتلبث ان تعاود الظهور وتسيطر على اذهان الناس بعد كمونها فيتخذونها شعارهم ومبدأهم فى الحياة لسنين وقرون . . وهكذا فان الفكر الفلسفى يمكن أن يؤثر تأثيرا عميقا فى قلب الانسان وعقله ومن ثم فى الشعوب والمجتمعات المختلفة . .

لهذا فان التفلسف فى الامة العربية بخاصة والاسلامية بعامة فى حالة كمون رغم وجود التناقضات بين المجتمعات العربية والاسلامية التى تساعد على ظهور نظريات جديدة تفسر الحياة الاجتماعية والاخلاقية . .

وبالرغم من وجود هذه التناقضات فانه فى تصورنا — لن تظهر عما قريب ظاهرة التفلسف نظرا لعوامل متعددة ليس من بينها الافتقار الى الفيلسوف ذاته ، ذلك لأن فى الامة الاسلامية عقول مفكرة لاتقل قدرة على التفلسف عن عقول المفكرين الغربيين . . .

لكن سبب كمون ظاهرة التفلسف راجع الى انشغال الناس

بالاشباع الاقتصادية التي يجدون مشقة في اشباعها الأمر الذي يتطلب جهدا ووقتا يستحوذ كل تفكيرهم ، فكيف يمكن التفلسف والامعاء خاوية تستحث الفرد في طلب الغذاء . الا انه متى أخذ الفرد الحد الأدنى من الغذاء وضمن ذلك في المستقبل فانه مما لاشك فيه سيطرح جانب الخمول جانبا ليبدأ من جديد في التفكير المتعمق المنظم . .

ولا يعتد بالقول بأن هناك بعض المجتمعات الاسلامية تعيش الآن في ترف اقتصادي اذ أن تلکم المجتمعات لاتمثل اكثر من خمسة بالمائة من المسلمين بالاضافة أن ذلك الترف الاقتصادي انما نشأ طفرة وليس متدرجا في مراحل ثم أن هذه المجتمعات الصغيرة مازالت تعمل على التهام الثقافات المحلية والعالمية بعد أن مضى عليها وقت طويل وهي تفرق في الفاقة والجهل والأمراض . . .

ونحن لانريد أن ندعو الى التفلسف لنحاكي المجتمعات الأوروبية الحديثة اذ أن ذلك النوع من التفلسف استفراغ وليس هضمًا طبيعيًا للأفكار . .

انما التفلسف تعبير عن موقف يجب أن ينبع من ذاتية الأمة اذ أن افرادها هم جزء لايتجزأ منها ، وهم المعبرون عن طموحاتهم وامانيها المستقبلية . .

هناك ثقافة غربية تغزو الامة الاسلامية شاعت او لم تشأ وهناك محاولات عديدة لايقاف غزوها لكن ليس هناك بعد الفكر

المتعمقة، وهذا هو الموقف الثالث لبناء صرح الاتجاه الفكرى الاسلامى المعاصر . . ذلك لان هناك نوعا من الانفصال الفكرى بين المثقفين ، بالاضافة لقطع سبل الحوار والمناقشة بينهم وعدم وجود قنوات طبيعية لظهور وجهات النظر وفهم كل فريق لأراء الآخر . . .

قد يوجد حقا بعض الاتهامات والطعون فى نظرة كل فريق الى العالم والواقع والحياة وتتصاعد ادخنة كثيفة لتحجب الرؤيا فلا يرى كل فريق وجه الآخر . . .

واذا ظهر بعض المفكرين المجتهدين محاولا التقاط وجهة نظر الفريقين وجمع شمل الفكرين فانه يحارب من كل من الفريقين حيث انه لم يأخذ بنظرة أى منهم اذا انه يحمل فى طيات فكره قبسا من نظرة خصومهم . . .

واذا قدر للأمة الاسلامية ان تفيق من سباتها فانه لن يتحقق ذلك فى تصورنا الا اذا هضمت التراث الاسلامى وتطلعت بعد ذلك الى الثقافة الغربية ، لتنهل منها ما تشاء بعدما تكون قد تجهزت بدروع واقية من شريعته ودينها القيم . واذا لم يتحقق لها ذلك فانها ستذوب حتما فى الثقافة الغازية كما هو حادث لفريق من المسلمين الآن والذين يديرون المؤسسات الثقافية، أو كما يتجمد الفريق الآخر فيعيش فى عزلة عن المعاصرة ويظل يردد كلام الأولين فى القرن الرابع الهجرى دون أن يبحث عن البدائل التى يمكن ان يقدمها فى مواجهة الفكر الأوربى الغازى بل يخرج

لنا بعض كتب التراث ليضيف الى هوامشها بعض التعليقات او الشروح اللغوية لبعض مصطلحاتها ..

ويظل الفكر فى غيبة عن الوجود وقد جلس كل فريق فى غرف متناثرة بعيدة عن بعضها عن بعض وبرغم انهم يقطنون بيتا واحدا فان كل فريق لايعرف عن الآخر شيئا وحتى لو علم شيئا فانه يعلمه بصورة مشوهة او تنقل اليه فى صورة تهدد وجوده نفسه ..

وعلى سبيل المثال هناك فكر ماركسى يدعو لنفسه باسم الاشتراكية وفكر ليبرالى يدعو الى تمجيد الفرد والحرية واما الفكر الثالث فانه يمثل العقيدة الاسلامية فى ثباتها ووضوحها ويسرها وفطرتها وبساطتها فى التطبيق ..

لكن اصحاب الفكر الاسلامى لايعبرون عنه الا بطريقة مشوهة ، وكأنهم ينعتون الاسلام بالاسراف تارة ، والتقتير تارة أخرى .. اذ انهم يتركون الاصول ويهتمون بالفروع والأوراق وكيف تنبت الأوراق مالم نركز على الجذور .. فنتعهدا بالرعاية .. وكأنهم يظنون أن الناس جميعا على معرفة مسبقة بخصائص واصول الاسلام ولذلك ينصب جل اهتمامهم ببعض المظاهر الشكلية التى لا تؤثر فى قليل او كثير فى ايمان المسلم ..

ويتلقف خصوم الاسلام من الماركسيين والليبراليين هذه المظاهر الشكلية فى حرص شديد لينشروا على الملأ أن الاسلام

هو عبار عن تلك الشكليات التى تتعارض مع اسلوب الحياة
المتمدينة وكأنهم يقولون بصوت واحد ان الاسلام هو ردة
ورجعية عن التقدم الحضارى .. وربما يقنع هذا الزعم الكثير
من الذين لا يفقهون شيئاً عن امور دينهم فيسايرون هذه الدعاوى
الطاعنة فى الدين القيم والشريعة الغراء ..

ولا يقف هذا التصارع بين اصحاب الماركسية والليبرالية
وبين المسلمين . بل يمتد ايضا بين الماركسيين والليبراليين
انفسهم كمحاولة لاثبات وجودهم فى واقع الامة الاسلامية .

وتنحاز بعض المجتمعات العربية والاسلامية الى الماركسية
حينما وتلبس ازارها ثم ماتلبث ان تجده مرقعاً وضيقاً لا يحقق
لأفرادها الا التعاسة والشقاء .. فتنفض هذا الازار لترتدى
مسوح الليبرالية الفضفاضة فتشعر بالغربة وتمرض هذه
المجتمعات مرضاً شديداً يمنعها عن الجهاد فتركن الى الخمسول
وتصبح اكثر تخلفاً وتفككا ..

ان جمع شمل الامة الاسلامية لا يمكن أن يتحقق الا عن
طريق الفكر ، والفكر الآن غائب عن الوجود ، فكل مجتمع من
المجتمعات الاسلامية يفكر فى نطاقه المحلى بما يحقق اشباعاته
دون أن يهتم بالمجتمع الأم وكأنه اصبح راشداً وقد فطم من عهد
بعيد ، لذلك يجب أن يتصرف فى حرية تامة .. ومن هنا كثرت
الخلافات والاحقاد بين حكومات الامة الأمر الذى جعل الحانهم

جميعا نشارا لاتسمع حتى لدى شعوبهم .. وقد نسى الجميع
أنهم لن تقوم لهم قائمة الا بالوحدة والرجوع الى هدى الدين .

ولا حل يمكن أن يقوم الا عن طريق أفساح المجال للقنوات
الفكرية للتعبير الحر الصريح لاصلاح ماأفسدته الاهسواء
الذاتية ..

والايشار هو المعامل الناجح الذى يمكن أن يربط بين
شعوب الأمة ويحقق لها التوحيد مرة أخرى بعد ان اصبحت
دويلات مغلوقة على أمرها ..

ولن يقبل الايشار كقيمة عظيمة من القيم الاسلامية الا عن
طريق التبادل الثقافى والاقتصادى والتعاون فى مجالات الحياة
المختلفة بين شعوب الأمة ..

فاذا ماتم ذلك عملا وفعلًا فان الفكر الاسلامى سينبت
شامخا ، وستعلو رؤية الاسلام خفاقة فى هذا الزمان ، كما كانت
فى عصورها الزاهرة ...

الانسان ذلك الضعيف القسوى

يرجو الانسان أحيانا أن ينعم الله عليه من فضله وعطاياه .
ويسجد راکعاً ويرفع يديه الى السماء متوسلاً ، وتذرف من عينه
الدموع ويدعو من قلبه أن يستجيب الله لدعائه . . .

وتمر الأيام ونرى ذلك الفقير غنياً ، وذلك الحزين آنساً ،
وذلك التعميس آمناً ، فقد تغير كل شيء كان بالأمس القريب ،
أصبح انساناً غير انسان أمس ، فقد افتقد ربه ، وتغافل عن طلبه ،
وقصر فى عبادته ، وكأنه لم يلتجأ اليه منذ فترة وجيزة من
الزمن ، وكأنه لم يرج فضله وعطاياه . . نسي ربه بعد مافتح
عليه وانشغل بنفسه وأخذ فى اشباع نهمها فى المأكول والملبس
وتحقيق رغباتها فى اللذائذات وكأنه لم يكن بالأمس عبداً فقيراً
يطلب من الله العون والمساعدة . .

نسى كل ذلك وطغى وتكبر وحسب أن ما أغدق عليه من
نعم لعلم عنده وأنه أفضل من غيره فى الذكاء والفطنة والتجارة
والعمارة والصناعة . .

لم يكن بالأمس كذلك وإنما كان يحسب نفسه أغبى الأغبياء
وكاد القنوط يقضى عليه والتعاسة تسكن قلبه والمرض النفسى
يطرحه أرضاً . . حتى اذ دعا الله فى لحظة اخلاص . . استجاب
تعالى لدعائه وسكب له بعض فضله وأفاض عليه من بعض خيره .
فاذا به يتكبر ويتجبر ويطنفى فى الأرض ، وكأنه نسى أصله

وتغافل عن ماضيه وحسب أن الماضي كان شيئاً عابراً ، وأن ما هو عليه من نعمة هو الباقي إلى الأبد . .

ترك الصلاة ظناً أنه ليس في حاجة إلى الله ، وعزف عن الصوم متوهماً أنه لا ضرورة له فلماذا يفرض على نفسه الجوع والعطش ، وبخل وشح فلم يترك وزعم أنه لما كان فقيراً لم يحسن إليه أحد . . عامل الفقير بجفوة والمحتاج بغلظة والمسكين بقسوة ورفض أن يعاون أحد من الناس ، وامتلأت خزانته بالمال الوفير وأصبح من ذوى الملك والأملأك والخدم والحشم ولم يعد أحد يأمره بل أصبح السيد الأمر المطاع . .

وحصل بماله على الجاه والألقاب والمركز المرموق وتطلع إليه الناس في إعجاب على أنه العصامى الكبير والمليونير العظيم والرجل صاحب المركز والسلطان والقوة والعرفان . .

ومضت الأيام ويزداد ماله وفرة وتزداد نفسه غروراً وكبرياء وأصبح لا يتكلم إلا بالإشارة ويعطى أوامره وهو جالس لعدد من التابعين حتى يغير ما يشاء ويشترى ما يشاء دون أدنى معارضة أو اعتراض . . فهو المالك المتصرف القوى الناجح . .

وتتغير الأمور فجأة ويسحب الكرسي الجالس عليه من تحته ، إذ يذهب ماله كله في لحظة وكأنه جمع ليرمى به في عمق المحيط ، وإذا بالقوى المنيع ، يصبح بين ليلة وضحاها الضعيف المتهالك ، ويمضى كل ماله ويمضى معه كل مساعديه

وخدامه ، ويمضى الجاه ويضيع المسركز المرموق ولا يبقى له شيئاً . . يبكى على ماضع وعلى نفسه التى أضاعها بغيره وتجبّره وتكبّره وطغيانه . . ويتذكر بعد فوات الآوان مافعله بالمحتاجين والفقراء والمساكين . . وكيف كان يعامل الضعفاء من الناس أثناء قوته المادية . .

وينفض الجميع من حوله ولا يجد من يلجأ اليه من الناس فلم يكن قد ترك شيئاً طيباً يذكرّونه به ، لم يترك فى مخيلة الجميع الا ذكريات مؤلمة كلها ظلم وبطش وطغيان . . .

الى أين يتوجه الآن وقد ضاع كل شيء ؟ . . وبدأ المرض يلاحقه والألم النفسى يزامله والتعاسة تطفى على قلبه . . . الى أين يتوجه وليس عنده رصيد من الأعمال الطيبة والأفعال الحسنة . . .

وأخيراً سجد لله وتوسل اليه أن يغفر له ماتقدم من ذنبه ، وأن يسامحه على تقصيره وعصيانه ، وأن يتوب عليه وأن يحسن اليه مرة أخرى . . وانه لن يغفل بعد اليوم عن طاعته ولن يقصر عن عبادته . .

ويستجيب الله الغفور الرحيم لعبده العاصى فيفدق عليه من نعمه ويفيض عليه بالرزق الوفير ويرجع اليه الثراء والجاه والمركز المرموق . .

فهل تغير ذلك الانسان ؟ . . لا . . لم يتغير انما رجع مرة أخرى الى تجبّره وتكبّره وطغيانه . . وازداد حرصاً على المال

فجمعه وكاد لا ينفقه . . وأصبح أكثر غروراً واغتراراً عما كان ونسى ربه مرة أخرى ، فترك الصلاة وعزف عن الصوم وقعد عن أداء الحقوق والواجبات وظلم نفسه ظلماً عظيماً . . ورفض ان يصنى الى صوت العقل وان يستمع الى نصيح الناصحين ، وابتعد عنه الأصدقاء المخلصين وقرب اليه أصدقاء السوء والمنافقين . . وأصبح قلبه كالْحجارة أو أشد قسوة . .

ومضت الأيام والمال يزيد والطمع فيه يكبر وصاحبنا يزداد قلبه قسوة وضراوة وظلماً .

ثم لم يلبث أن هاجمه المرض فما استطاع أن ينعم بما جمع ، لقد نصحه الأطباء بالكف عن الغذاء إلا بعض الأنواع البسيطة التي تجعله يستمر في الحياة . . كانت أغلب الأطعمة والمشروبات محظورة عليه فما يكاد يستلعم شيئاً كما أن مغادرته للفراش كان أمراً شاقاً فقد شل نصمه الأسفل تماماً وما عاد يتحرك إلا منقولا أو في عربة تجره جراً . . ثم فقد بصره فلم يعد يرى ما جمعه من مال ورياش إلا تخيلاً . .

وأغرورقت عينه بالدموع وهو يتوجه الى الله بالدعاء ويطلب عونه ويستغفر عن ذنوبه ، ويطلب منه تعالى أن يسامحه على تقصيره وذنوبه . . .

وفي لحظة اخلاص يستمع الله الى عبده العاصي ويغفر له ويستجيب الى دعائه . . فيشفى من مرضه وتعود اليه صحته . . ويبصر ويبلى تماماً من مرضه . .

وتمر الأيام فيرجع الانسان الى سابق عهده مرة أخرى ،
ويطغى ويتجبر ويتكبر * * فلم يتعلم من التجارب السابقة * *
ومضى فى غيه وعاش فى ظلمة وكان شيئاً لم يكن وان ما حدث
له كان عارضا أما الباقي له فهو المال والصحة والجاه والمركز
المرموق * * ويعود الضعيف القوى والراجى ظالما وحائثا والمحتاج
جباراً متجبراً * * فهل يستحق بعد ذلك غفران الله ؟ لو فعل
ما فعل مرة واحدة مع انسان أى انسان ماغفر له أبدا * * وقد
فعل ذلك مع ملك الملوك وفاطر السموات وموجد الخلق
والعباد * * فهل يغفر له تعالى بعد هذا الاعتراض والعناد * *
وهل يستحق منه العفو والغفران انه ذلك الانسان الضعيف عند
الحاجة القوى عند الاستغناء لكنه ينسى أن القوة من الله وانه
ما يلبث أن يأتى الضعف والوهن وأن حياته قصيرة مهما طالت
وأن الموت هو حقيقة الانسان وأنه لا بد عائد الى ربه أما الى
العذاب المقيم وأما الى النعيم المقيم * * والله تعالى يمتحن عبده
فى الدنيا ويرى الى أى حد يطيعه ويعبده وأنه يعطيه الفرصة
بعد الفرصة ليكون عبدا ربانيا * * ثم بعد أن يكتب له الموت
فلا فرصة أخرى * * اذ يكون قد أعطاه الفرصة الأخيرة التى اذ
لم يعتدل أمره ويستقيم فيها كان عقابه من الله شديدا * *

الرباط الوثيق

يتميز المجتمع الاسلامى فى عصوره الزاهرة ، باحتوائه للعلماء فى كل فرع من فروع المعارف الانسانية ، وقدرته على ربط الأفئدة والقلوب برباط وثيق ، اذ يجد الناس المساواة والعدل بين ضفافه ، كما يتعلى جموع العباد بالاخاء . .

ان حضارة العرب نشأت مع الاسلام فلولوا الاسلام ما قامت لها قائمة ، وهذا بخلاف حضارة اليونان والفرس والرومان فقد قامت قبل المسيحية ، ولما ظهر الاسلام بدأت تلمكم الحضارات تتقلص رويدا رويدا مع انتشار الاسلام حتى غطى بجناحيه انحاء العالم واحتوى كل فكر وعلم وصناعة . . .

لقد كان لسماحة الدين القيم الأثر العظيم فى لجوء المؤلفين والمترجمين الاجانب الى عواصم الأمة الاسلامية ليعيشوا بين احضانها تتكفلهم بالرعاية والاهتمام وتسكب عليهم من عطفها وكرمها ما جعلهم يشعرون بانتسابهم لهذه الأمة ، وانتمائهم لترابها ، فأعطوا لها فى سخاء ، وعملوا بوفاء واخلصوا العلم فى صدق وولاء . . وتفتحت قرائحهم وتجددت دماؤهم فأخرجوا النفيس من الجواهر والجديد من اللآلىء ، وهب نسيم الأمل فى كل قلب فظهرت الحضارة الاسلامية فى أبهى حلة لتفقد على العالم فى سخاء بكل فن وعلم وعمران . . .

انه من العجب العجاب أن يتحول هؤلاء العرب بعد فترة قصيرة من العمر الى علماء افاذا ، صاغوا أصول المنهج العلمى

وعملوا على تطبيقه فى الوقت الذى كانت فيه اوربا ترسخ فى ظلام العصور الوسطى الكئيبة .

ويقول احد المستشرقين المعاصرين :

ظلت اوربا بعد المسيحية اكثر من سبعة عشر قرنا من الزمان الى أن وصلت الى حضارتها الحديثة ، أما العرب فلم يمس على ظهور الاسلام قرنين حتى غمرت حضارتهم العالم كله بكل علم وفن وفكر ...

لقد لعبت سماحة الاسلام الدور الأول فى نشوء التقدم والازدهار العالمى ، كما عمل المنهج الاسلامى فى الفكر والسلوك والحياة على ضمان حرية الانسان فلا عبودية الا لله ..

ونحن اذ نقرظ رأى هذا المستشرق على انصافه وذكره بامانة للواقع التاريخى الحى الا أننا نضيف الى قوله فى هذا الصدد :

ولولا ظهور الحضارة الاسلامية لبقيت اوربا الى الآن على عهدها من التأخر والانحلال ..

ولولا الفتح الاسلامى وانغمار الامم الأخرى تحت لوائه والاستفادة من مناهج المسلمين الحياتية والأخلاقية والعلمية .. ماحدث هذا التقدم المذهل فى الصناعات والتكنولوجيا الحديثة التى نأكل من ثمرتها الآن ..

لقد فرض المسلمون ابان حضارتهم الزاهرة على الامم

الأخرى أن يسعوا فى الأرض وأن يستفيدوا من الموارد الطبيعية التى سخرها الله لتكون فى خدمتهم ، وعمدوا الى البحث والتجربة فى سنن الله ليستكشفوا ما غمض من الامور ويستجلوا الاشياء الخفيفة فى هذا العالم العريض * .

ولقد ظفر المسلمون بكشوف علمية عظيمة فى مجالات مختلفة فى الفلك والهندسة والحساب والجبر والميكانيكا والطب والصيدلة والكيمياء والطبيعة والموسيقى ، أثروا بها عقل الانسان ونفعوا بها كل الناس * * *

ولم يتوان الغربيون عن اقتناص هذه الفرصة فوضعوا ايديهم على هذه الكنوز ، وبعثوا البعوت لاستجلاب كل نفيس من علم العرب وصناعاتهم ، وقلدوهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا واقتبسوا علومهم ما قدر لهم أن يقتبسوه * .

لكن المهم فى هذا كله أن الغربيين هضموا التراث الاسلامى فيما يتعلق بالعلوم التطبيقية والعملية ولم يتركوا فرعا من الفروع الا وولجوه ، ولا شيئا فيه منفعة الا واستفادوا منه أو أخذوه * * *

تعجب الأوروبيون من حضارة المسلمين المزاهرة ونظروا اليهم نظرة التقدير والاحترام ، وبرغم الحروب الطاحنة التى حدثت بينهم ، الا انه كان اثناء فترات السلم يلتقى الافراد ، وهنا يحدث التبادل والاستفادة والتأثير والتأثر ، وكان المسلمون لا يبخلون وكان الأوروبيون لا يتركون فرصة الا ويستفيدوا منها

ولا طريقة نافعة استخدمها المسلمون الا وعمدوا على تطبيقها
واقْتباسها ..

والواقع ان المسلمين كانوا على قدر عظيم من التسامح
فلم يقبضوا على اكتشافاتهم العلمية وتجاربهم فى شتى الفنون
والعلوم بل على العكس من ذلك تماما ، منحوا ذلك عن طيب
خاطر لكل من يطلبه بلا مقابل وذلك تمشيا مع احكام الدين ،
وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، من أنه يتوجب ان يكون
العلم لخدمة ولنفع الناس والعباد ..

لكن هل يفعل الأوروبيون ذلك وقد امسكوا بناصية الحضارة
والتقدم العلمى ؟ ... بالطبع لا فهم جريصون على اخفاء
اسرار مستكشفاتهم وقد بخلوا بخلا شديدا فى اعطاء العرب
بعض خبراتهم فى مجال العلوم العملية التى تقدموا فيها ..
واصبح جل همهم تقديم منتجاتهم المصنعة وأدواتهم المستحدثة
فى صورة سلع تامة التصنيع فى مقابل عشرات الاضعاف من
ثمنها الاصلى ...

لقد استفاد الغربيون من الحضارة الاسلامية بلا مقابل
دفعوه ، لكنهم عندما وصلوا الى بعض التقدم فى مجال العلم
والحياة أصبح ذلك وقفا عليهم فقط ..

ما أحوجنا الى هضم ثقافة الغرب وما احوجنا الى الرجوع
الى التراث الاسلامى العظيم لاسترجاع كنوزه ... ثم اظهر
ذلك فى صورة تقدم حضارى كى يعيد عصور الحضارة
الاسلامية الزاهرة ..

مزاعم اليوجيين

ليس هناك أفضل للانسان من التمسك بعقيدة الله ،
والعمل بشريعته ، والاخلاص له تعالى ظاهرا وباطنا ...

ومهما أعمل الانسان عقله ، وألهب خياله ، وألف من عنده
تأليف تبدو للناظر معجزات أو خرق عادات ، يحسب المستجيب
لها أنها من العجب العجائب .. فانه يبقى على الموحّد بالله الا
ينجذب اليها الا بقدر مواكبتها لأمر الله ، وموافقتها لارادته
تعالى ..

ومن الدعاوى الحديثة القديمة التى تستهدف اظهار
قدرات الانسان ، والمبالغة فى تقديس بعض الأفراد الذين يظهر
على ايديهم بعض الخوارق الیوجية ..

واليوجيون يزعمون لأنفسهم أفعالا وأعمالا وأقوالا
لايستطيع من هو دونهم أن يتقدم فيها خطوة واحدة ، أو أن
يحاكيهم فى ابراز بعض منها ، لذلك فانهم يظنون أن مايتوصل
اليه احد الیوجيين من قدرة على خرق العادة انما هو دليل على
التقدم الروحى ومن ثم الاتحاد بالله ..

ويخترع الیوجيون قصصا وروايات يؤيدون بها دعاويهم ،
لايستطيع من هو دونهم أن يتقدم فيها خطوة واحدة ، أو أن
فى الحديث عنها ، ويحيطون انفسهم بهالة من التقديس
المصطنع ، فيلتف حولهم البسطاء من الناس بأمل أن يمنحونهم
بركتهم ويوصلونهم الى السعادة المرتقبة ..

ويتناقل العامة الكثير من القصص والروايات التي حدثت
وكان أبطالها من معلمى الیوجية ، ويستخلص القارئ منها أن
الهدف الاساسى هو ابراز عظمة الیوجى لا عظمة الله . .

والغريب أن معظم هذه القصص والروايات المتناقلة ،
يعوزها الحكمة ، وتفتقر الى الموعظة الحسنة ، وتبدو احيانا
عملا غير اخلاقى ، من ذلك ماورد عن احد الیوجيين أنه استطاع
أن يعين تلميذه وكان طالبا فى احد الجامعات الهندية ،
استطاع أن يعينه على النجاح فى امتحان « البكالوريوس » دون
ان يكون التلميذ مستعدا للامتحان ، فقد كان نائب التغيب عن
حضور المحاضرات الدراسية ، منهمكا فيما يشغله عنها ، ومع
ذلك فقد نجح بدون بذل ادنى جهد مما كان موضع اندهاش
أساتذته وزملائه الذين كانوا يجزمون قبل انعقاد الامتحان
التحريرى بأن ذلك الطالب من الراسبين . . .

والهدف من هذه القصة ابراز قدرات العلم الیوجى على
تسخير مايراد تسخيره لمصلحته ، واظهار خرق العادات على
يديه . . ولاشك أن ذلك السلوك يعد عملا غير اخلاقى ، وأنه
يتنافى مع الفطرة السليمة والقلب السليم والعقل الرشيد . .

اليس يدعو هذا العمل الى الغش والتدليس ، ولو كان
باستخدام طرقا غير منظورة ، وكيف يتكافىء الطالب الفاشل
مع الطالب المجد فى درجات الامتحان ، ثم كيف يعطى الطالب
الفاشل شهادة جامعية بمسوجبها يعمل طبيبا أو كيميائيا أو
مهندسا دون أن يكون قد حصل بكفاءة على تلك العلوم التى

تؤهله الى الانخراط فى سلك الاطباء او الكيميائيين او المهندسين *

وتروى كتب اليوجية الكثير من هذه القصص اللااخلاقية لتثبت عظمة اليوجى وقواه الروحية والبدنية فحسب ، من ذلك أن احد اليوجيين الكبار قد قربت منيته ، فأخبر تلامذته بذلك وحدد لهم ميعاد انتقاله فتوسلوا اليه والدموع تذرف من أعينهم أن يمد فى اجله ، فهم فى حاجة ماسة الى تعاليمه ، وبعد الحاح شديد قبل اليوجى المعلم أن يمد فى عمره بقواه الروحية وعاش بعد ذلك دهرأ طويلا **

وواضح من هذه القصة التكلف والابتداع ، فضلا عن عدم مواكبتها لعقيدة التوحيد ، التى تنص على أن الذى بيده أمر الموت والحياة هو الله وحده ، فكيف تستقيم دعاوى اليوجيين ، وهى بعيدة كل البعد عن الأمر الالهى ؟

والعجيب أن اليوجى يذكر لتلامذته حيواته السابقة ، فيزعم أنه كان كذا أو كذا قبل أن يكون فى صورته الحالية ، فهو يتنقل من جسد الى جسد أو كما يزعم اليوجيون من هيكل الى هيكل فى كل حياة ، بل يدعى اليوجيون أنهم بعد الموت سينتقلون فى صورة كذا أو كذا *** والعجيب أن تلامذتهم يصدقون على اقوالهم ويبحثون عنهم بعد وفاتهم ، وتذكر كتبهم أن اليوجى القديم الذى عاش فى القرن العاشر انتقل الى هيكل آخر بعد وفاته واشتهر باسم كذا ، ثم انتقل بعد ذلك باسم كذا ** وهذا مايسمى بتناسخ الأرواح **

ان عقيدة اليوجية تشتمل على التحريف الواضح ، والبعد عن الحق والرشاد ، اذ لا يمكن أن يقبلها عقل رشيد ، ونفس مستقيمة تعرف الله حق معرفته . .

ويعاود بعض اليوجيين الزعم بأن المعلم اليوجي يستطيع أن يشفى المريض ولو كان على وشك الموت . . . وتذكر قصصهم أن احد مريدى اليوجية أصيب بمرض الكوليرا الخطير ، فحضر الاطباء وعلنوا أن المريض ميئوس من شفائه وانه على وشك الموت ، فاستدعى احدى المعلم اليوجي ونظر اليه وقال : سيشفى تماما . .

ولم تمض سويعات حتى قام المريض معافيا تماما ، وكأنه لم يصب بشيء ، وقام مع زملائه بعدها برحلة طويلة عبر جبال الهملايا كان قد اعد لها من قبل . . .

ومن هذه القصة يتضح التصنع فى ذكر الوقائع ، بالإضافة الى الادعاء بأن المعلم اليوجي قادر على شفاء من يشاء فى أى وقت يشاء ، وهذا تبجح معناه مشاركة الله فى ربوبيته ، ومنازعته تعالى فى ملكه ، ومشاكلته تعالى فى قدرته فى أن يحيى من يشاء ويميت من يشاء . .

ان فى انتساب قدرات خاصة الى المعلم اليوجي انما هو نوع من المخادعات ، تدل على موافقة ابليس وجنوده ، ومتابعة الاهواء . . اذ انها ادعاء سافر لمشاركة الله تعالى فى ربوبيته . .

ويظل هناك السؤال الذى لا يستطيع أن يعطينا اليوجي

جوابا عليه وهو ما الحكمة في انتظار اليوجى لخرق العادة ،
وابراز قدراته ؟

ونحن نوقن أن اليوجى المعلم ما يستظهر ما يستظهره من
المخادعات ، الا ليقال عنه انه عظيم أو قديس ، فهناك من الناس
من يكد طول حياته ليجمع المال لالشيء الا ليقال انه ثرى ،
فيشعر بلذة نفسية ، وكذلك الذى يسعى لتعلم وممارسة بعض
الممارسات الخارقة للعادة فانه يأمل من اظهار هذه الخوارق على
يديه مدح الناس له والثناء عليه ، وهذا مايشعره بلذات نفسية
تزيد كثيرا عن لذة جمع المال وتحقيق الشهوات العاجلة . .

ان شهوة الظفر التى يستشعرها المعلم اليوجى ، توصله
الى تحقيق مآربه فى تقديس الناس له ، ووضعها فى منزلة عالية
تفوق منزلة الحكام والرؤساء ، وهذا فى تصورنا الهدف
الرئيسى الذى يجعل المعلم اليوجى يجهد نفسه فى عمل بعض
التمرينات والممارسات الصعبة التى تحتاج الى مكابدة ومعاناة ،
وذلك من اجل الوصول الى مرتبة او مقام عال لم يصل اليه الا فى
النذر القليل . .

لكن اذا نظرنا الى اليوجية من خلال النظرة الاسلامية ،
لوجدنا بعدها عن الحق والاستقامة والعدل ، حيث ان اليوجى
يعمل لارضاء نفسه لا لارضاء الله ، ثم انه يسعى لتحقيق ذاته
لا لابرار نعم الله على الانسان . . وكل فعل يقوم به اليوجى
لايعول عليه ولا قيمة له مادام بعيدا عن أمر الله وحكمته البالغة
وحججه الدامغة . .

لقد خلق الله الانسان ليعبده وليعمل على تحقيق كلمته تعالى فى الارض ، فاذا جاء اليوجيون أو غيرهم ليستظهروا قواهم الذاتية ، ويصطنعوا بعض المخادعات فى شكل خوارق للعبادات ، فان فعلهم هذا مما يفضب الله ويزيد نقمته تعالى عليهم ...

ولاشك ان ممارساتهم كممارسات السحرة والمشعوذين التى يقصدون منها منافع شخصية ، ومصالح ذاتية ، ومطالب دنيوية ، وهذا يجعلهم من حزب الشيطان وليس من حزب الله ..

فاذا ادعى اليوجيون الاتيان بالمعجزات والكرامات تشبها بالانبياء والكرامات ، فان زعمهم هذا بعيد عن الصدق والحق ، اذ أن الانبياء قد اصطفاهم الله واجتباهم وأوحى اليهم ليبشروا الناس والعباد ويتذروهم لكى يعبدوا الله حق عبادته ، ولم يدع نبي من الانبياء أن ما يأتى على يديه من معجزات راجع الى علم عنده أو انه مخلوق من طينة غير طينة الانسان ...

لكن المعلمين اليوجيين يدعون انهم مخلوقات ارقى من البشر ، وانهم فى اتحاد دائم مع الله ، وانهم لا يموتون ، انما تتغير هياكلهم بعد فترة من الزمان ليتلبسوا فى هياكل غيرها ، وانهم يعيشون حيوات متعددة ..

اليس ذلك يعد غرورا واغترارا ، وبعدا عن دين التوحيد،

ومشاركة له فى ملكه ، وتطاولا على بديع خلقه ، وادعاء كاذبا
بقدرات انسانية مستثناه . .

ان أقوال الیوجیین وافعالهم لانصيب لها من الصحة ، وان
صدفت بعض اقوالهم تحققا ، فذلك قد تم بأمر الله وبمشيئته
تعالى ولم يتم بأذن من المعلمين الیوجیین كما يزعمون . .

دفع القلب للمنكرات

لو استطاع الانسان أن يقاوم المنكر بالعدة والعتاد ، فيقضى عليه فى مهده لكان ذلك خيرا عظيما ، لكن استفحال المنكر وضعف المقاومة ثمرة فجأة للتخاذل والسلبية والخوف على الحياة أو الخوف من بطش الاعداء . . .

وربما تضعف مقاومة المنكر ولو باستعمال النصيحة الخالصة المخلصة أو بالموعظة الحسنة أو بالترهيب من بقمة الله والترغيب فى نعمة الله ، وربما تضعف مقاومة المنكر عند بعض الناس فلا ينكرونه باليد أو باللسان أو حتى بقلوبهم ، وبذلك يساندون الباغى فى بغيه ، والظالم فى ظلمه ، والفاسق فى فسقه . .

ان واجب المؤمن فى الحد الأدنى أن يقاوم المنكر بقلبه ، والا خرج عن حظيرة الايمان ، فكيف يقف مستسلما لما يشاهده أمامه من منكرات ، وكيف يرى الظلم ويسكت عليه ، والطغيان ويرضى به ، والتجبر ويستكين له ، والتكبر ويرضخ له ، كيف يمضى مطأطئ الرأس امام الفاسقين دون أن يعارض أفعالهم الذميمة ولو بقلبه . .

ان هذا السلوك لا يواكب الايمان ولا يتمشى مع جرعات الايمان التى أودعها الله فى قلبه ، والتقوى التى يتحصل عليها كنتيجة لايمانه بربه . .

يجب على المؤمن اذن أن يدفع المنكر بقلبه وهذا أضعف
الايमान ، فان لم يستطع خرج عن دائرة الايمان الى دائرة
الرياء * * لأن الدفع قوة بالله ومنعة من الله ودليل اكيد على
وجود نوع من الايمان فى قلب العبد * * *

لذلك فانه اذا كان دفع المنكر باليد هو اشتراك بين القلب
والجوارح كلها ، واذا كان دفع المنكر باللسان اشتراك بالقلب
وبعض الجوارح ، فان دفع المنكر بالقلب عمل بالقلب دون
الجوارح ، فاذا لم تشترك الجوارح فى دفع المنكر وتقاسم
القلب أيضا عن دفعه * * فلن يبقى شىء بعد ذلك يسمى الدفع
للمنكر ومن ثم يعيث صاحب المنكر فى الارض فسادا وفسادا * *
ان القوة القلبية قوة عظيمة لو استخدمت فى الدفاع عن
المعروف والحق ، وهى قوة متبذلة مريضة اذا تراخت ونامت
دون أن تدفع المنكر بعيدا * *

وتأثير القلب على الاحداث يعد تأثيرا ايجابيا ولو انه
لا يظهر فى شكل ممارسات عملية ظاهرة ، الا ان تأثيره الباطنى
أعظم اثرا من التأثير الظاهرى ، فالقلب كقوة روحية يرسل
معانى ربانية تشع الى الخارج او الى الموضوعات الخارجية
فتظهر فى ضروب واضحة من السلوك والتصرفات * *

حقا ان القلب عند استقامته مع الله ، وسلامته من الآفات
والنقائص يبدو فى سكينته وأمنه قويا منيعا ، لا يمنعه شىء من

اجتياز السحب ، ولاتخيفه قوة الاعداء ، ولاتمنعه المحن
والشدائد من الجهاد والاجتهاد .. فينفث في عدوه الخوف
بسلاح الايمان ، ويهاب صاحبه الظلمة والفسقة من حرب
الشيطان ، ويردهم خاسئين بقوة نفسية من ذلك القلب السليم ..

ربما ينكر البعض هذا المشهد القلبي ، ولهم العذر في ذلك
حيث لم يجربوا بعد تأثير القوة النفسية على الأحداث ، اذ انها
لاتخضع للمعايير الحسية ، ولاتقوم بعقل ومعلومات ظاهرة ،
وبرغم ان القرآن الكريم والاحاديث النبوية الصحيحة تؤكد على
أن صاحب القلب السليم يقبل عمله عند الله تعالى ويجازيه
خيرا بخير وفضلا ومثوبة على صدق نيته مع الله ..

وترتبط سلامة القلب مع الايمان كما يقترن الايمان
بالسكينة القلبية .

« هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً
مع ايمانهم »

فالايمان حصن يحتوى به المؤمن فيستظل بنور الطمأنينة
والامن والسكينة ، ومادام المؤمن خالص النية لله ، فان عمله
نور يؤيده الله بانواره فييسر له ماكان صعبا ، ويصل الى ماكان
مستحيلا ، ويبدل الله عسره يسرا ...

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى »

فالنية بهذا المعنى هدف القلب ومقصده فى مواجهة العالم الخارجى ، ومتى ارتبطت هذه النية بالعزم والارادة ، يسر الله له العمل فتزال العوائق ، وتتغير الظروف ، وتنمحي الحواجز ، ويصل الذى خلصت نيته مع الله الى تحقيق الغايات النبيلة والصالح والاصلاح . . .

واذ اعترض المعترضون على قدرات القلب السليم برغم نواياه الطيبة على دفع المظالم ، واييقاف المنكر ، واندحار اصحاب القوة الحسية الطائشة ، اذا اعترض المعترضون وتشككوا فى صدق مانقول بدعوى ان النية غير كافية وان القلب السليم لا يكفى وحده لصد العدوان واييقاف نزيف الظلم عن العباد ، فانا نرى أن المؤمن مطالب بدفع المنكر بيده - كما ورد فى الحديث - فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان . . .

لكن لا يجب أن نظن أن المؤمن عندما يدفع الظلم والمنكر والعدوان بقلبه ، فانه ضعيف فى ذاته ، انما يدفع بقلبه لأن ذلك مايسر له عمله ، اذ انه اذا تمكن فى ظروف أفضل لدفعه بلسانه ، ثم انه اذا تمكن بعد ذلك بمقاومته بالعدة والعتسار لفعل ذلك دون تقصير . .

فدفع المؤمن للمنكر وان كانت درجته الدنيا عن طريق القلب ، فان ذلك لا يقلل من شأنه ، مادام ليس حاصلًا على القوة المادية التى تناصره ضد المظالم والمنكرات ، وبذلك يكون عمله

مثابا عليه مادام قد بذل جهده الميسر له فى دفع الظلم ومحاربته * *

ويمكن ان نمثل لذلك بالمؤمن الاعزل من السلاح الذى يواجه عدوانا شديدا ، فهو لا يستطيع ان يقاوم الظلم والعدوان بيده ولسانه والا قتل ، انما يستطيع ذلك بقلبه فهو مجاهد فى سبيل الله يستحق المشوبة على عمله ، مثله فى ذلك مثل المؤمن الذى يمتلك العدة والعتاد ويستطيع مجابهة ظلم المعتدى ، فبقدر ما يبذل كل منهما جهده فى الجهاد بما تيسر له بقدر ما يكون الجـازء * * فهى جميعا صورة للجهاد وان اختلفت ظاهريا فى مجابهة العدوان والمنكر * *

واذا كان كل ماتيسر للمؤمن ، فى ظرف من الظروف هو الجهاد القلبى ، فانه يعد فى ذاته عملا رائعا يجب الاشادة به ، مثل ما يشاد بالجهاد الاصغر سواء بسواء ، لانه جهاد فى ظل الامكانيات المتاحة ، فاذا قيل انه موقف سلبي لا يقدم ولا يؤخر فى نفع الظلم والمنكر ، فان هذا القول يعد نجاحا لجهود المؤمنين * *

والذى يعد حقا موقفا سلبيا ، انما يكمن فى ترك الظالم المعتدى وصاحب المنكر يعيث فى الارض فسادا وافسادا . دون ان ندافعه بالجهاد القلبى اذ لم نكن قادرين على دفعه بالعدة والعتاد * * *

كما اننا نخرج عن طريق الايمان اذا وافقنا ظاهريا الباغى أو شاركناه فى هواه ، أو تعاوننا معه بصورة من الصور

فى مخطط من مخططاته بدعوى اننا لانقدر على صده ، او
لارتكاننا على ضعفنا وقلة حيلتنا ..

ان خوف الظالم مع قدرته على البطش ، يصبح خوفا مقيما ،
اذا جابهه المؤمن بالدفع القلبى ، اذ يشعر باسلحة المؤمن غير
المرتقبة وهى تنفت الى نفسه فتحيل حياته نكدا وهما وغما ..
ومهما ارتكب من حماقات ، وازداد شراسة من الناحية الظاهرية ،
فانه فى الواقع يشعر فى داخله بالانهيار التام وقد ضاع آمنه
وفقد سكينته ..

واستمرار المؤمن فى الدفع القلبى صد المنكر ، ومجابهته
بالقوة النفسية ، تمكين فى آخر الأمر فى تفوية حصن المؤمن ،
واضعاف لحصن الظالم المعتدى وبهذا الطريق يكون النهى عن
المنكر قد وقف حائلا ضد تنفيذ مخططات المعتدى ثم قوى الدفع
حتى اصبح بالقلب والجوارح ثم اكتمل النهى عن المنكر باعداد
العدة والعتاد .. فاذا بالقوى الغاشمة تسقط متهالكة ضعيفة ،
واذ بالمنكرات تتقلص ليحل محلها الحق والعدل والأمر
بالمعروف ...

ان قوى المؤمن الروحية والنفسية الهائلة تكمن فى علاقته
الوطيدة بالله تعالى ، وكلما ازدادت شحنة الايمان بالنور
الالهى ، كلما تمكن من نشر هذا النور بين الآخرين ولكلما قوى
الاستعداد من الله كلما قوى الامداد للآخرين . فيشع ذلك النور

فى الظلمات ، وىتبدل الضعف الى قوة ، والوهن الى منعة ، وىبدؤ المؤمن كنور ىمشى بين الناس ىثبتهم فى الحق ، وىحفزهم ضد الباطل ، وىشعد همهم للملاقة الظالم والمعتدى والمجاهر بنفسه ، فىنتشر بذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا فضل الله على المجاهدين *

المبشرون بالجنة

عرف كل منهم مقامه فى الجنة ، واتخذ معه أخا ورفيقا فى رحلته من الحياة الدنيا الى الآخرة ، وأطمئن قلبه وأمنت نفسه ، فقد بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بالبشرى التى تشتهق اليها كل نفس ، ويأمل الناس كل الناس أن يحظوا بها ، ويسكنوا اليها ، بعد رحلة المجاهدة فى سبيل الله . .

ولو عرف غير العشرة — مآله ، وأيقن كل مسلم من الرحمة الالهية ، والنعمة الربانية ما أفضى به الرسول صلى الله عليه وسلم الى العشرة المختارين ، لكان ذلك الحدث الأعظم فى حياته ، ولوصل الى شاطئ الأمن والامان ، ووثق من طريقه وارتاح قلبه . . .

يشكو بعض المسلمين أحد الصحابة الاعاظم ويمتنى النفس أن يدخله تعالى النار فقد اعتقد ظلما أنه ظلمه ، يشكو بعض المسلمين الصحابى الجليل حامل بن أبى بلتمة الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولوا : ليدخلن حاطب النار . . .

يرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :
« كذبت لا يدخلها فقد شهد بدرا والحديبية »
(عن ابن عباس)

لقد شرف الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه ، ووضعهم فى منزلة عالية ومقام أمين ، واثنى على جهادهم ، وامتدح افعالهم ، ونهى عن سبهم ، وغض عن هفواتهم ، وصفح عما

جرى بينهم وصدر عنهم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم
فى ذلك :

« لو انفق احدكم مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »
وعن الحسن رضى الله عنه :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابى فى الناس
كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح » .

انهم الثلاثة القليلة المباركة التى صاحبت الرسول فى رحلة
دعوته الناس للايمان برب الناس ، انهم النجوم الساطعة فى
الليل البهيم ، تنير الطريق الى الله ، يقول الرسول صلى الله عليه
وسلم :

« لاتزالون بخير مادام فيكم من رآنى وصاحبنى ، والله
ما تزالون بخير مادام فيكم من رأى من رآنى وصاحبنى
والله لاتزالون بخير مادام فيكم من رأى من رأى من رآنى
وصاحبنى » .

وأول الصحابة الذين بشروا بالجنة أبو بكر الصديق رضى
الله عنه ، يقول عنه على بن أبى طالب كرم الله وجهه :
« أول من اسلم من الرجال أبو بكر »

ويقول عنه حسان شاعر النبى صلى الله عليه وسلم :

وثانى اثنين فى الفار المنيف وقد طاف العدو بهم اذ
لقد صحب ابو بكر النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن
ثمان عشر سنة فى تجارة الى الشام ، حتى وصلوا الى مكان فيه
سدره ، وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فى ظل السدره ،
ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا ، وسأله عن أمر الدين ،
فقال له الراهب من الذى يجلس هناك فى ظل السدره أجاب
أبو بكر : هو محمد بن عبد الله . . قال الراهب : والله هذا
نبى الله ، ما استظل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم الا
محمد صلى الله عليه وسلم *

فأيقن ابو بكر منذ تلك اللحظة أن الرسول هو النبى
المرتقب ، ولم يدخل الشك فى قلبه طوال صحبته له *

واما الفاروق عمر فلقد أعز الله به الاسلام وهاجر علانية
دون خوف أو وجل وتوفى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو
راض عنه وبشره بالجنة وأخبره أكثر من مرة أن الله جعل الحق
على لسانه وقلبه وأن الشيطان يفر منه ، وأن أهل السماء
استبشروا با سلامه ، وسمى عمر بالعبرى والمحدث وسراج
أهل الجنة . .

عاش الفاروق حميدا ومات شهيدا يكره الباطل ويحب
الحق ، ولو كان بعد النبى نبيا لكان عمر بن الخطاب فهو أول
من كتب تاريخ المسلمين . . من الهجرة الشريفة ، وأول من حض

على جمع القرآن ، وأول من جمع الناس على صيام رمضان ،
وأول من عمل الدرة، وأنب بها الخارجين، وأول من وضع الخراج
وعين القضاة ورتب الدواوين ، وأول من سمى بأمير المؤمنين
وفتح الله على يديه بلاد الروم والقادسية بعد فتح دمشق حتى
انتهى الى حمص وبلاد حرام ونصيبين وعسقلان وبيت المقدس
والأهواز ومصر ونهاوند وأصفهان وفارس وهمدان والنوبة
وغير ذلك كثير . .

وأما عثمان بن عفان ، فهو من العشرة المبشرين بالجنة ،
وهو كاتم سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو نور أهل
السماء ، ومصباح أهل الارض ، وهو الذى جهز جيش العسرة ،
كان كثير الحياء ، بل أصدق الأمة حياء ، وهو أول من هاجر
الى أرض الحبشة ، وأشبه الصحابة خلقا بالنبي صلى الله عليه
وسلم ، وهو الرابع فى الدخول الى الاسلام ، ومناقبه لا تعد
ولا تحصى . . .

وقد دعى له الرسول صلى الله عليه وسلم بدخول الجنة
فقد كان عثمان أوصل الناس للرحم ، حتى قيل أنه لن يحاسب
أو يحاسب سرا وهو أفضل الناس بعد عمر ، ولقد شهد له
النبي بأنه على الحق ووصفه بالأمين .

وقد شبهه الرسول صلى الله عليه وسلم بإبراهيم عليه
السلام ، كان صاحب فراسة : فقد دخل عليه برجل وقد نظر الى
امرأة أجنبية فقال له عثمان رضى الله عنه أيدخل على أحدكم

وفى عينيه أثر الزنا ، فقال الرجل أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال لا • • قول حق وفراسة صدق •

وأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فقد شهد له النبى بالجنة ، وله بيت فيها ، كما أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم وأن له فى الجنة عصا من عصى الجنة يزود بها المنافقين عن الحوض • • •

وفضائل على كرم الله وجهه لاتعد ، فله محبة من الله ، وتفضيل فى المنزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان شغوفاً ، كما كان الرسول شغوفاً به ، ومر اعياله ، وداعياً له بالجنة • •

لقد أحرق على كرم الله وجهه ، قوما اتخذوه الها دون الله عز وجل ، وقال لهم انما انا عبد مثلكم أكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون ان اطعته أثابنى ان شاء ، وان عصيت خشيت أن يعذبنى • • • فأبوا فطردهم ، ثم رجعوا يرددون هذا الكلام ، فقال لهم : انكم ضالون مفتونون ، فأبوا ، فلما كان اليوم الثالث رددوا نفس الكلام فقال قولته المشهورة والله لان قلتكم لأقتلنكم بأخيبت قتلة فأبوا ، فحفر أخدوداً وأوقد فيه ناراً ، وقال ، انى طارحكم فيها أو ترجعون فأبوا ، فقذف بهم فيها (١) •

وقد شبهه الرسول صلى الله عليه وسلم بخمسة خصال من خصال الانبياء عليهم السلام ، فقد ذكر أن الرسول صلى الله

عليه وسلم قال : من أراد أن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في فهمه والى ابراهيم في حلمه والى يحيى بن زكريا في زهده ، والى موسى في بطشه ، فليُنظر الى على بن أبى طالب (١) .

وزاد ابن عباس رضى الله عنه « الى يوسف في خصاله » فليُنظر الى على بن ابى طالب .

لقد كان على بن ابى طالب من خير البشر ، وأفقه الناس علما ، وأرسخهم قدما فى الايمان ، وأكرم الناس ، وأزهدهم فى الدنيا ، وأكثرهم تواضعا وحياءا من النبى وخوفا من الله . ومن المبشرين بالجنة طلحة بن عبيد الله ، فلقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وآخى بينه وبين الزبير فى رواية ، وآخى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف فى رواية أخرى ، له مناقب كثيرة ، وفضائل عظيمة فقد شهد الحديبية وأبلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووقى الرسول الكريم بيده فشلت يده ، وهو من الثمانية ، الذين سبقوا الى الاسلام ، ومن الستة الذين جعل عمر منهم الشورى ، ولقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض ، وهو من حوارى النبى ، قد نزع الله من صدره كل غل وحسد كان خطيبا من أعظم خطباء الصحابة .

أما الزبير بن العوام ، فقد كان سمحا ورعا ، كريما ، جوادا ، حتى عد من أكرم الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة .

(١) أخرجه الحاكمى .

ثم نجد عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، وهو الأمين
فى الأرض وفى السماء ، وثق به النبى صلى الله عليه وسلم
وبإيمانه ، حتى قيل أنه ممن سبقت له السعادة وهو ما يزال
فى بطن أمه .

كان كثير العلم ، حتى أن عمر رضى الله عنه ، كان
يستشير به بالرأى ، وأما عن خوفه من الله وتواضعه وتعففه
فكان مضرب الأمثال .

ومن المبشرين بالجنة سعد بن مالك ، فقد شهد له الرسول
صلى الله عليه وسلم بالجنة ومناقبه عديدة ، وفضائله كثيرة ،
كان شديدا فى الدين ، زاهدا فى الدنيا ، شجاعا غيوراً على أهل
الله ، حريصاً على البر والصدقة . .

وأما عبيد بن الجراح رضى الله عنه ، فقد شهد له الرسول
صلى الله عليه وسلم بالجنة ، حتى أن عمر بن الخطاب اختصه
بالخلافة ان مات وهو حى ، كما قر به أبو بكر الصديق رضى
عنه ، وقال عنه : عليكم بالهين اللين ، الذى اذ ظلم لم يظلم ،
واذا اضيف اليه ظفر ، واذا قطع وصل ، رحيم بالمؤمنين شديد
على الكافرين ، عليكم بأبى عبيده الجراح .

ومن العشرة المبشرين بالجنة ، سعيد بن زيد ، وهو من
الذين عبدوا الله على دين التوحيد فى الجاهلية ، وقد هداهم
الله اليه بغير كتاب ولا نبى ، كان اسمه فى الاسلام ، سعيدا ،
وكان فى الجاهلية أيضا سعيدا .

كان زاهدا ، ذو دعوة مجابة ، فلقد نازعته امرأة فى داره ، فقال دعوها ، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شبرا من الأرض من غير حق طوقه الله فى سبع أرضين يوم القيامة ، اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واجعل قبرها فى دارى ، فأعمى الله بصرها ، وكانت تقول أصابتنى دعوة سعيد بن زيد ، وبينما كانت تمشى فى الدار فمرت على بئر فوقعت فماتت (١) .

ولا يمكن ان ننسى ابا ذر الغفارى ، وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن مسعود . وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، والمنذر بن عمر ، وجعفر بن ابى طالب ، ومعاذ بن جبل ، وخارجة بن سلامة ، وأويس بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومصعب بن عمير ، وأبو أيوب خالد بن زيد وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعباد بن بشر ، وأبى بن كعب ، وسالم مولى أبو حذيفة ، وسلمان الفارسى ، وسعد بن ابى وقاص ، وصهيب ، وبلال الحبشى وأسامة بن زيد .

فان هؤلاء ثلة من الصحابة الأجلاء ، الذين جاهدوا فى سبيل رفع راية الاسلام ، ورافقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى جهاده ضد المشركين لاعلاء كلمة الدين ، فمنهم من قتل شهيدا ، ومن عاش حميدا ، وقد أثنى النبى صلى الله عليه وسلم على جهادهم فى الدنيا ، ودعا لهم بدخول الجنة ، وقد بشروا بها جميعا .

(١) (أخرجه مسلم مع اختلاف فى اللفظ) .

الانسان بين الارتكاس والتكامل الأخلاقي

كلما تأملت عالم الحيوان أنكرت كثيراً من سلوكه في
البطش والعدوان والشراسة ... لكنني عندما أتأمل
أحوال الانسان أجد أن هناك بعضاً من سلوك
الحيوان في طبعه وكأنه يحاكيه في الشراسة والعدوان ..

عجيب أمر الانسان خلق من طين ويحتقر طينته ، ويخشى
الجراثيم وقد أمضى في خلقه طورا يشاكل الجرثومة في
جرثوميته ، يكره الدم ومنه نطفته وعلقته ، يخاف الموت
واليه يعود كما أتى ..

ويشتد عود الانسان وتستقيم قامته ، ويمشي على الارض
التي خلق منها في خيلاء ينظف من ترايبتها جسمه ولباسه
وحذاءه ، ويغتسل من الوسخ ويتطهر من الجراثيم ويعقم مأكله
ومشربه منها ..

وينشأ مع هذه الطبيعة للانسان طبعاً آخر ، فلقد أكرمه
الله وسخر الارض والبحار والفضاء له ، وفضله على كثير من
خلقه وجعله في هذه الدنيا مستخلفاً .. فهل عدل الانسان مع
غيره أم جار وظلم نفسه ..

تملك الانسان الاغترار بنفسه فحسب نفسه أحياناً طاووساً
يمشي مختلاً فخوراً يظن أن لا أحد مثله جمالاً وبهاء وعظمة

فيرفع رأسه فى كبرياء ، ويشد عنقه فى افتخار ويميل برأسه
فى تجبر وخيلاء ...

فاذا امتحن بشيء من الشدة خاف وفزع وخبأ جسمه حتى
لايؤذى وكشر عن أنيابه مثله فى ذلك مثل حيوان « القنفذ »
إذا أحس بالخطر تكور وغطى جسمه بالشوك من كل جانب .

وعندما لا يستطيع الانسان الهرب من عدوه دفن رأسه فى
الرمال كأنه لا يسمع ولا يرى مما حواليه شيئا وهو فى ذلك يقلد
النعامه عندما تدفن رأسها فى الرمال جبنًا وهلمًا ..

وفى مواطن القوة يرجع الانسان الى طبع النمر فىهاجم
فى قسوة ويقتل فى شراسة ويقدم على سفك دماء الفريسة وهو
ليس فى حاجة اليها مستخدما الفدر والخيانة ..

ويتفنن الانسان فى الأذى ويستخدم حيل الثعالب فى
التخطيط لضحاياه ، ويداعب الفريسة ويصادقها حتى اذا وجد
الوقت مناسبًا انقض عليها بالرحمة ولا هوادة ...

فاذا جاءت الريح بما لاتشتهى السفن ووجد الانسان نفسه
فى مأزق فر كالارنب ، وترك كل شيء خلفه يريد أن ينجو
بنفسه .. وليمت الآخريش ..

ويتخذ الانسان من طباع القط أحيانًا بعض خصاله ، فاذا
أؤتمن خان الأمانة فى غفلة من صديقه وصاحبه ..

واذا غضب كشر عن أنيابه كسبع هائج يهاجم فى قسوة

ويهاجم فى شراسة ولا يهدأ الا وقد فتك بمن ناصبه العداء . .

ويتقوى الانسان أحيانا بغيره ليغلب عدوه ويحاكى الذئب فى نذالته فيهاجم مع غيره من الذئاب الاعزل الضعيف فاذا ناصر عدوه احدهم وبدت له . . له قوته فرا هارباً مدعوراً . .

ويحاكى الانسان أحيانا الحيوان فى كل صورته ، وكأن الله خلق الحيوان الأعجمى لنرى بعض نفوسنا الامارة فى طبع من طباعه ، فهذا الخنزير القذر الشهوى يحاكيه بعض الناس فى طباعه فتحركهم غرائزهم السفلى ويحرصون على تلبية رغباتهم واشباع نهمهم دون رادع من ضمير أو قيم أو أخلاق وربما يرتكبون الفواحش ويغصون عليها لالشىء الا للشهوات المرضية الغالبة على نفوسهم . .

ويفقد الانسان حلمه أحيانا ويتخذ من طباع الكلب المسعور قدوة له ، فتراه دائما عضويا عدوانيا اذا حملت عليه يلهث حنقا وغضبا ، واذا تركته يصيح حنقا وغضبا . . .

واذا كان للحيوان الأعجمى طبعا غالبا عليه يوصف به ويعد من طباعه الملازمة له مدى الحياة ، فان الانسان بخلاف ذلك فانه يمكن أن يجمع بين خنزيرية الشهوة وغضبة الكلب وخيانة القط وجبن الارنب وخديعة الثعلب ووضاعة الذئب وعدوانية النمر . .

فالانسان يمكن أن يحمل هذه الأوصاف والصفات فيكون

شريراً وشره يتجاوز حدود الحيوان الاعجمى وقدراته ، فيبدو
أشد ضراوة وشراسة من أقوى وأكثر الحيوانات عدوانية
وقسوة . . .

وقد يتصف الانسان ببعض خصال الحيوان الاعجمى وليس
كلها ومثله فى ذلك مثل المرأة التى تتصف بالجمال لكن فى
جسمها أو وجهها عيب خلقى فيفسد جمالها ، وكلما كان العيب
واضحاً كلما هبط بمستوى الجمال فيها . .

وكذلك الأخلاق الانسانية فاذا زادت نقائص الانسان
الأخلاقية كلما اتصف بالشر ، وأصبحت الرذائل طبعاً ملازماً
له ، وكلما زادت محاسنه الأخلاقية كلما قرن بمكارم
الأخلاق . . .

فالانسان الجاهل له عيوب ونقائص يمكن أن تزداد فيصبح
شهوانياً كما يمكن أن تعالج فتتحسن طباعه فيصبح عالماً ،
وكذلك الشهوانى يمكن أن تتراكم نقائصه وتزداد عيوبه
فيصبح منحرفاً وهو أخطر من الجاهل والشهوى جميعاً كما يمكن
أن يتوب ويرجع عن شهوانيته ويصبح انساناً سوياً ، فاذا
لم يحاول المنحرف ذلك وبقي على انحرافه وظلم نفسه وصل
آخر الأمر الى أن يكون شريراً وهو الذى أصبح عدواً لنفسه
وغيره والمجتمع جميعاً . .

لكن الانسان مع ذلك يختلف عن الحيوان الأعجمى رغم أنه
يحاكيه أحياناً وذلك لمرض فى نفسه وقسوة فى قلبه وعمى فى

بصيرته ، اذا يستطيع الانسان اذا تخلق بأخلاق الكمل واقتدى
بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأطاع الله ورسوله فنهى
عما نهى عنه وأمر به تعالى ، يستطيع الانسان أن يصبح ربانياً
فتتسم أخلاقه بأخلاق الصحابة والتابعين وتابع التابعين فى
الاخلاص والطهارة والعفة والامانة والصدق والصفح الجميل
والايثار والمرؤة والعمل الصالح . . وتبتعد نفسه عن محاكاة
الحيوان الأعجمى وأوصافه المذمومة وصفاته الذميمة ، ويتحلى
بديلا عنها بالأوصاف المحمودة والصفات الكريمة ، ويجلو عن
قلبه شوائب العصيان ويمسح عن نفسه كل صنوف البغى
والعدوان ، ويرتفع الى مقام عال يسبق فيه بمشيئة الله ومننه
ونعمه أخلاق الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام من قبل .

الانسان يمكن أن يهبط الى أسفل سافلين اذا اتبع هواه
وظلم نفسه وقادته شهواته الى محاكاة الأعجمى فى سلوكه
وطباعه . .

والانسان يمكن أن يصعد الى مقام مكين ويتصف بأنه حقا
وصدقا فى أحسن تقويم اذا غلب شهواته وخالف هوى نفسه
وأطاع الله ورسوله فأصبح نقياً تقياً ورعاً .

الانسان بين الرحمة والعذاب !!

لو نفكر الانسان فى نعم الله عليه ، ماتملكه اليأس
والقنوط ، ولعلم ان الله تعالى خلقه ليسعى وأوجهه
للخير .. وأن المعصية دليل على الجحود ونكران النعمة
والخيرات .

لولا الله ما وجد الانسان ، وما كان شيئاً مذكوراً ، ولقد
أنعم الله تعالى بكريم جوده وعظيم سخائه بالوجود لبنى آدم :
فخلقه على أحسن صورة وأتم تقويم ، وأسبغ عليه من واسع
رحمته الخير العميم والتلطف والنعيم ما لم تحط به المخلوقات
الأخرى :

يقول تعالى للانسان :

« وقد خلقتك ولم تك شيئاً »

(سورة مريم : ١٩)

ولا يعرف قدر ذلك التفضل الالهى فى خلق الانسان الا
العلماء وحدهم ، فان فى حياة الانسان لذة وحلاوة ، وفى موته
ألم للنفوس وحزن وارتياح وجزع ..

والدليل على ذلك أن الانسان يخاف الموت الذى يتوهمه
عدما ، ويرهب الخطر الذى يظنه نذيراً له ، ويهرب من المخاطرة
بحياته خشية الوفاة .

وأحيانا يوصف القاء النفس الى التهلكة تهوراً وحمقاً وطيشاً
اذا لم يكن الأمر جهاداً للدفاع عن الدين أو الوطن أو العرض
... لكنه يعد القاعد عن الدفاع عن دينه وعرضه ووطنه
جباناً ذليلاً مستندلاً ... فالأمر يحتاج الى وسط عدل يتحقق به
الخير الفاضل للإنسان ، ولا يمكن أن يزن الإنسان نفسه بنفسه
هذا الأمر بميزان صدق وحق ، ويحقق العقل وحده في اصدار
الحكم المناسب الرشيد في موقف يحتاج فيه الإنسان الى المخاطرة
بحياته ..

فالإنسان ربما يجبن في ذلك الموقف الذي يحتاج الى
الشجاعة والاقدام وقد استشار عقله ، وكما أنه ربما يتهور في
موقف يحتاج الى الحكمة والسداد ، وقد تسلط عليه غضبه أو
شهوة الانتقام ، فالفيصل في الأمر هنا هو حكم الله وهو القمين
ان يصله بالخير العميم الذي ينفعه في الدنيا والآخرة .

لكن الإنسان يخاف الموت وينخسئ الهلاك ، فكيف يستقيم
ذلك مع تهوره احيانا ونزوعه الى طلب الموت والمخاطرة
بحياته ... ؟!

لقد سبق القول أن الإنسان اذا استشار نفسه ربما يجبن
على مواجهة الأخطار طلباً للمدة وحفاظاً على وجودها ، فلماذا
تنزع النفس احيانا الى طلب الموت وهي كارهة له فزعة منه ...
يبدو ان في الامر سرأ لم نكتشفه بعد ، الا أننا اذا تأملنا

حال الانسان نجده ينزع الى طلب الموت فى مواقف متعددة
تحتاج منا الى التصنيف :

الموقف الأول : وهو نزوع النفس الى الجهاد وهى كارهة
له ، لكن امثالاً لأمر الله ، والجهاد يتضمن الدفاع عن العرض
والنفس والحق والدين . . . وهو موقف شرعى تقتضيه
الاستقامة والطاعة لله ، فان لم يسلك الانسان هذا السلوك يعد
جباناً ضعيفاً متقاعساً مستندلاً . .

الموقف الثانى : وهو نزوع من قبل النفس دون روية او
تفكر أو تدبر لشهوة الانتقام دون عرض الامر على حكمة
التشريع ، فتتخذ قراراً غضبياً وتنفذه ، وبذلك تتعرض للموت
عن وعى أو بلا وعى وقد تملكها الغضب وشهوة الانتقام ، وينتج
عن ذلك الموت المحقق او تعرضها للقصاص الذى غالباً مايكون
اقامة حد القتل . .

الموقف الثالث : ويتلخص فى موقف اليأس والقنوط ،
فيقدم الانسان على الموت تخلصاً مما يظن أنه يطارداه أو فى
البلاء الذى يتصور أنه لامفسر منه ، أو شعوره بالظلم وان
الآخرين يناصرونه العداة او أنه لا أمل فى حياته . .

وهذا الأمر فى الغالب ضد الطبيعة الانسانية ، التى تخاف
الموت وتألم منه وتحزن ان تفارق الحياة التى تشعر بلذتها
وحلاوتها مهما كان فيها من مصاعب وابتلاءات . .

والموقف الأخير لا يقدم عليه الا يؤوس من رحمة الله ،
جاهل بنعمه تعالى عليه ، ناكراً لفضل الله وتفضله عليه بالايجاد
والخلق " فلو تأمل ذلك المقدم على قتل نفسه حكمة الله
البالغة فى خلقه واياته التامات فى ايجاده ، ما أقدم على هذه
الفعلة الشنعاء ، ولعرف ان الابتلاءات التى يمر بها هى نوع
من الامتحانات والاختبارات التى يجريها الله لعباده ، فلو صبر
عليها ودعا الله تعالى ليخفف عنه ما به لاستجاب لدعائه ومن
عليه بواسع رحمته وعظيم فضله ، والله يحب من عبده أن يذكره
ويدعوه ، والله يجيب دعوة الداعى اذا دعاه ، يقول عز من قاتل :

« واذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع

اذا دعان »

اما اليائسون من رحمة الله فهم المتكبرون الكافرون بأنعم
الله ، ولذلك سدت امامهم السبل ولم يعد لهم ملجأ من الله الا
اليه ، فلما يأسوا وقنطوا من رحمته ، خلعوا حلة وجودهم
بأيديهم عنادا وشركا ، وماتوا وقد ظلموا انفسهم ، وانحرفوا
عن الفطرة السليمة التى فطرهم الله عليها ، وفقدوا العقل
الرشيد الذى أودعه الله أمانته عندهم .

وأما الموقف الثانى وهو ذلك الذى يقدم بغضبه وشهوته
على القتل تهورا وطيشا مع علمه بمصيره اذا أقدم على هذه

الجريمة الشنعاء ، فانه أحد شخصين أولهما جاهل وشهوى وغافل ، قد نسلمت قوى الشهوة والغضب فى نفسه فأقدم على ارتكاب جريمته دون واعظ من قلب أو زاجر من ضمير ، وربما ندم بعد فعلته أو ظل على هواه . . . لكنه بعدما يقتترف جريمته يخاف الموت ويخشى القصاص ويأمل فى الحياة . .

وأما الشخص الآخر الذى يرتكب جريمة القتل الشنعاء فهو أكثر عتوا وظلما وشركا وهو ذلك المنحرف الشرير الذى يخطط للشر ويرتكب جريمته بتدبير واصرار يقتل وهو سعيد بذلك ويلتذ عندما يشرب من دماء ضحيته وكأنه يلعب لعبة خطيرة . . وهذا المجرم قاس القلب ، فقلبه كالحجارة أو أشد قسوة ، يكره الناس والعباد ويظن أن الخير هو الشر والشر هو الخير ، فقيمه ومفاهيمه وافكاره منحرفة ، لا أمل فى إصلاحه إلا اذا أسبغ الله عليه برحمته فتاب توبة نصوح .

يبقى الموقف الأول وهو موقف الجهاد رغم الخطر الذى يمكن ان يترتب عليه مواجهة الموت ، والجاهد هنا بين موقفين : حب النفس وعدم قبول فكرة الموت ، والتمسك بالحياة التى يجد فيها لذة وخيرا ، وبين طاعة الله وطلب المثوبة عنده ، لانه يعتبر أن مدامته للخطر ومواجهته للعدو هو طاعة لله ، فان مات فهو شهيد وان عاش فان الله سيجازيه خير الجزاء . .

هناك بون كبير اذن بين موقف اليأس الذى يقدم على

الانتحار ، وبين موقف المجاهد الذى يواجه الموت طاعة لله ،
فالأول لا يعد شجاعا بل جباناً لأنه هرب بنفسه فى مواجهة
الحياة وفضل الموت عندما توهم أن الحياة قصرت عن اشباع
حاجاته وتحقيق متطلباته وتلبية أمانيه ..

ولو تفكر ذلك الهارب من نعم الله قليلاً ، لوجد نعم الله
الظاهرة والباطنة ، لو أطفأ المصباح فى ليل دامس ومشى فى
حلكة الظلام يتفقد شيئاً فانه سيطول به البحث ولن يجده ..
فما أجدر به ان يذكر فى تلك اللحظة نعمة الله عليه ، وانـه
وهبه عينين ليبصر بهما ، ولو تفكر قليلاً ان حبس صوته لحظة
لعلم اى نعمة انعم الله بها عليه باللسان والكلام ..

لكن الانسان ينسى ويتغافل عن نعم الله عليه ولا يعلم تلك
النعم الا اذ افتقر اليها او حرمها الله منه ، وكان هذه النعم
من حقه على الله ، وانه يستحقها لعلم عنده بدون الله ، فاذا
ماضعت منه بعض هذه النعم يئس وقنط من رحمة الله واصبح
ملولاً حقوداً هلوكة .. تم غالباً مايقدم على هذه الفعلة
الشنعاء ...

اما المجاهد فانه يتقدم الى مواجهة الموت فى شجاعة الاسود
وفى حكمة الشيوخ وفى قوة البطل الجسور ، قلبه مع الله
ونفسه تسير فى طريق الاستقامة والعدل ، وعقله رشيد مستنير
يعلم ان مات فان هناك حياة اخروية افضل وابقى وان هناك

فى تلك الدار سىلتقى بالاخيار والابرار وانه سيعيش ناعما
منعما فى جنات ونعيم وان الله تعالى سيسبغ عليه من فضله
خيرا عظيما ..

فاى طريق اجمل من طريق المجاهدة ، وائى طريق أوحش
من طريق الهوى والطيش ..

احدهما يؤدى الى ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ، والاخر يهوى بالانسان الى نار وسعير وعذاب
للجسم والنفس مقيم ...

هذا طريق الرحمة ، وهذا طريق العذاب ..

تم بحمد الله تعالى

الفهرست

قضايا اسلامية :

الذين ينكرون القدوة . . .

رقم الصفحة	مقدمة
٣	
٧	١ - الذين ينكرون القدوة
١١	٢ - القدوة اردت أم لم ترد
١٤	٣ - لا افراط ولا تفريط
٢٢	٤ - هوى اصحاب الهوى
٢٧	٥ - الذين يتقولون على الله كذبا
٣٢	٦ - الرابطة بين الربوبية والعبودية
٣٥	٧ - ارادة الله وارادة الانسان
٢٨	٨ - حضارة المسلمين المفترى عليها
٤٢	٩ - خداع الزمان
٤٦	١٠ - مقاومة رعونات النفس
٥٠	١١ - التوحيد والتذوق الجمالى
٥٥	١٢ - الموسيقى بين الحلال والحرام
٦١	١٣ - البحث عن الخير الاسمى
٦٦	١٤ - حديقة الانعام الناطقة
٧٣	١٥ - حديقة الحياة
٧٦	١٦ - لماذا يعيش الانسان ؟
٨٢	١٧ - القوالبيون المحدثون
٨٩	١٨ - تهافت مذاهب الاخلاق البشرية

تابع الفهرس

رقم الصفحة	
٩٤	١٩ - الباحثون فى السراب
١٠٠	٢٠ - الاعتراض على الفطرة ظنون واوهام
١٠٤	٢١ - ارض الحقيقة
١١١	٢٢ - هل هناك افتقار الى الفلاسفة ؟
١٢١	٢٣ - الانسان ذلك الضعيف القسوى
١٢٦	٢٤ - الرباط الوثيق
١٣٠	٢٥ - مزاعم الیوجیین
١٣٧	٢٦ - دفع القلب للمنكرات
١٤٤	٢٧ - المبشرون بالجنة
١٥٢	٢٨ - الانسان بين الارتكاس والتكامل الاخلاقى
١٥٧	٢٩ - الانسان بين الرحمة والعذاب

تم بحمد الله

مطبعة التقدم
عبد القادر محمد التوني
٨٠٦٠٥٤
٢١ ش سيزوستريس



Bibliotheca Alexandrina



0347702